تأثير السينما والتليفزيون ووسائل التواصل الإجتماعي في الحياة الإجتماعية

سارة أبوريا

2023

جمهورية مصر العربية، القاهرة

https://www.facebook.com/sara.abouraia.3

تأثير السينما والتليفزيون ووسائل التواصل الإجتماعي

في الحياة الإجتماعية

سارة أبوريا

اسم الكاتب: سارة أبوريا

اسم الكتاب: تأثير السينما والتليفزيون ووسائل التواصل الإجتماعي في الحياة الإجتماعية

تصنيف الكتاب: دراسات سينمائية

إخراج فنى وتصميم الغلاف: سارة أبوريا

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٢٣/٨٥٦٤

الترقيم الدولى: ٢-٥٤٨٣-٩٤-٩٧٧-٩٧٨

• مقدمة

لكل عصر تحدياته التي يواجهها الإنسان سواء بمفرده أو داخل المجتمع الذي يعيش فيه أو العالم المحيط به حيث تتطور هذه التحديات مع مرور الزمن، وتتغير وجوهها تباعًا، ولكن مع إمعان النظر فيها سيتضح إنها نفس التحديات، ولكن بأشكال مختلفة. يسعى الإنسان لضمان ضروريات الحياة- وفقًا لمعايره الخاصة- من مأكل وملبس ومسكن ثم يبحث عن تأمين ما يُسمى بالرفاهيات، ومن ثم تتعاظم المشاكل عليه بسبب تطلعاته. علاوة على العوامل النفسية التي تدفعه إلى دخول السباق من أجل الحصول على حياة أفضل بالرغم من أن حياته يمكن أن تكون حلم بالنسبة لآخرين.

من ناحية أخرى، تلقي الرأسمالية بشباكها على الإنسان المعاصر لتقيده بشروطها اللا متناهية، فلا يرى إلا من خلال عيونها، ولا يفكر إلا من خلال قوانينها. وعندما يتوقف للحظات ليتأمل ما يدور حوله، يتسلل إليه الشعور

بالإحباط وأنه سيتأخر عن السباق. هذا السباق اللا مرئي الذي يحاول من خلاله أن يثبت لنفسه قبل الآخرين بأنه جدير بالنجاح وشخص مثالي لا يتكرر على مدار التاريخ- حتى لو اضطر لارتكاب الحماقات، وخلق الضغينة في نفوس من حوله، وبالتدريج يفقد إنسانيته وتتحطم علاقاته الإنسانية على صخرة الطموحات.

كما أن عامل الإستعجال الذي أصبح سمة هذا العصريلعب دورًا فى هذه الأزمة، وكأن العالم سوف ينتهي خلال أيام معدودة، وعلى الإنسان أن يفعل كل ما في وسعه وإلا سوف تفرمه آلة الزمن المعاصر. إن الإستعجال يولد الإحباط، ويخلق الفوضى داخل النفس البشرية بحيث لا يستطيع الفرد التركيز على خططه المستقبلية، فنجده يقوم بأفعال غير مدروسة في سبيل تحقيق أهدافه خلال وقت قياسي لكى يشبع حاجته بالشعور بالتفوق.

هذا بالإضافة إلى لعنة التكنولوجيا التي صبت جام غضبها على الإنسان المعاصر حيث جعلته يضع نفسه في مقارنة دائمة مع من حوله والآخرين، وكأنه في سباق مع كل البشر ليصبح هو "وحده" محط الإهتمام، وذلك بسبب الصورة المثالية المزيفة التي فرضتها هذه التكنولوجيا على الواقع. وقد تأثر مفهوم النجاح في العصر المعاصر بهذه اللعنة، والذي أصبح بالنسبة لقطاع عريض من الشباب يتلخص في امتلاك "كل" الأشياء، وتحقيق "كل" الأهداف بينما يتلخص النجاح لمن هم أكبر سنًا في الهدوء النفسى، وراحة البال، والإستمتاع باللحظة، والتسامح، والتعايش مع الآخرين.

السينما

• لمحة سريعة

تعد السينما من وسائل الترفيه التي جذبت إليها المتلقي منذ بدايتها بسبب الإنبهار بالصور المتحركة والصوت المتزامن مع ما يعرض أمامه على شاشة العرض. تدور أحداث الأفلام حول محور واحد – مهما تعددت خيوط الحبكات وتشابكت الأنواع الفيلمية - ألا وهو الصراع بين الخير والشر. ففي أغلب الأحيان ينتصر الخير، ولكن في أحيانًا أخرى يكسب الشر الجولة الأخيرة، لينتهي المطاف بمتلقي حائر وأحيانًا غاضبًا على هذه النهاية. عادةً ما تتناول الأفلام أجزاء من قصص حياة البشر- وليس عرضًا تفصيليًا لحياة الأشخاص، بل تركز على جزء منها. علاوة على تجميلها صورة الواقع الذي يعيشه الإنسان في بعض الأحيان، وإعطاء النصائح، ونشر الطاقات الإيجابية لمقاومة كل ما هو سلبي أو معقد. كما أن هناك بعض الأفلام التي تلجأ إلى إثارة الخوف والرهبة في النفوس بهدف تهذيب النفس البشرية أو التلميح بإشارات إيمانية.

من ناحية أخرى، تستغل السينما العامل البشرى الموجود بها- والمقصود هنا النجوم والنجمات- وتحولهم كسلع هامة لترويج الأفلام، وذلك من خلال مشاهدتهم على الشاشة بصورة مثالية تجعل المتلقي يتمنى أن يحيا حياتهم، والتي تبدو على السطح بأنها حياة مليئة بالرفاهية والسعادة، ولكن في حقيقة الأمر لا أحد يعرف الجانب الخفي في حياة النجوم من وجع وألم وتضحيات والخوف من تجاعيد الزمن الذي يطاردهم طوال الوقت. ومن المفارقات العجيبة أن نجد منهم من يتمنى لو يصبح إنسانًا عاديًا، ويصرح برغبته في أن يعيش بعيدًا عن مطاردة الأضواء.

لقد أدرك صناع السينما منذ زمن بعيد أن النجم أو النجمة هما العامل الرئيسي المضمون لكسب المال، فالمتلقي يذهب إلى السينما من أجل أن يشاهد نجمه أو نجمته المفضلة، ويتماهى معهم داخل أحداث الفيلم حتى يشعر- في خياله- أنه أحد أبطال هذا العالم السحري. لا يهم إذا كانت جودة الفيلم جيدة

أو رديئة طالما هناك إقبال كبير على شباك التذاكر، وأن يستمر على شاشات دور العرض لفترات طويلة. هذا بالإضافة إلى تطوير دور العرض من نفسها كى تصبح مكانًا يبعث الطمأنينة والهدوء داخل النفس بعيدًا عن صخب الحياة، وكأن من يذهب إليها يدخل جنة الأرض بتذكرة!

وبالرغم من أن مدة عرض الفيلم على الشاشة لا يتعدى أكثر من ساعتين- في بعض الأحيان- إلا أنه يستمر داخل وجدان المتلقي بكل تفاصيله وحوارته لفترة ليست بقصيرة، لنجده يتأثر بما حدث للأبطال كما يسعد في قرارة نفسه بالنهاية التي يتمنى أن يحصل عليها في واقعه بعد أن يقابل فتاة أحلامه، ويواجها معًا نفس العقبات. يصبح بعدها أسير الفيلم، ويسير فى الشوارع هائمًا يبحث عن الأبطال، ويراهم فى كل مكان، وكأنه مسحورًا بعصا العجوز المتخفية بين الحاضرين أمام شاشة العرض، ومن ثم تتبدل حياته من البساطة إلى التمرد على الواقع.

وتجدر الإشارة إلى أن المتلقي يختلف عن البطل أو البطلة داخل الفيلم السينمائي، فهو لا يستطيع أن يجازف بما لديه في غمضة عين خوفًا من المصير المجهول وبطش الحياة الذي لا يرحم. وهذا يلفت أنظارنا إلى أن السيناريو المكتوب للعرض يُسيطر على الأحداث بينما الواقع أشد شراسة ومرارة. لذلك فالمتلقي العادي يتردد في اتخاذ أي خطوات نحو التمرد المنشود، وهذا ما يجعله يتريث ويعيد حساباته بعد فترة من التفكير بالرغم من أن نبض الفيلم لا يزال بداخله، ولكن خطر المجازفة هو ما يجعله يتوقف ويتردد. وإذا كان الغرض من الفيلم السينمائي بث روح التفاؤل والأمل، فهذا لفترة محدودة من الزمن بسبب ضغوط الحياة التي لا تتوقف، ويعلم هذا كل من صناع الفيلم والمنتج حتى المتلقي الذي يدفع ثمن التذكرة من أجل الهروب ولو للحظات من هذه الحياة الطاحنة. لذا فليس من الغريب أن نجد البعض يذهب إلى السينما من أجل الحصول على بعض الترفيه بدلاً من الذهاب إلى أماكن أخرى باهظة التكاليف، تكبده الكثير من أجل توفيرها بالإضافة إلى عمره الذي يهدره في

سبيل العمل لفترات طويلة، وبالتالي يعتبر البعض السينما مكانًا ملائمًا لجميع الطبقات دون عبء مادي.

من ناحية أخرى، تنبهر الفتيات الصغيرات بمظهر وشكل النجوم الفاتن، فكل منهن تبحث عن فارس أحلامها الذي ينقذها من عالمها المتمثل فى الأسرة. فهي البطلة في أحلامها، والنجم هو البطل الذي يقع في حبها من أول نظرة، وبالتدريج تنسج خيوط الحياة التي تتمنى أن تعيشها في مخيلتها. يتطور الأمر معها خطوة بخطوة، و تتغير نظرتها فيمن حولها من الشباب، فلا يعجبها أحد بسبب استحواذ هذا البطل الوسيم- الذي يطل بوسامته أمامها على الشاشة- على تفكيرها وخيالها، وتتمنى أن يختارها دونًا عن باقى الفتيات، لتشعر بالمثالية والكمال. لا يتوقف الأمر عند فترة المراهقة فحسب بل من المرجح أن يستمر لفترة طويلة بسبب تحكم اللاوعي في اختيارها للشاب الذي ترغب في الإرتباط به بحيث أن يكون شبيهًا لنجوم الشاشة. ربما يحدث نفس الأمر مع

الشاب الذي يرغب في الإرتباط بفتاة شديدة الجمال قبل أن تتبدل نظرته إلى معايير الجمال، ومن ثم يواجه صعوبة الإرتباط مفضلاً العالم الخيالي على الواقع.

على جانب آخر، لقد أدرك البعض، وليس الجميع، مع بدايات السينما أن الإتجاه الذي يتبناه هذا الفن يختلف عن باقى الفنون بسبب إمكانياته الجديدة واللامحدودة. ومن ثم لم يقتصر دور السينما على تسجيل اللقطات بل قفزت سريعًا إلى نقطة التحول الأولى ألا وهي الإقتباس من عالم الرواية والأدب لتأخذ منه ما تريد، وتشكله على حسب رؤى المبدعين. لقد كانت السينما في البدايات صامتة حيث كانت تكمن قوتها في الصورة التي تعرض على الشاشة، وكيف يمكن أن يفهمها الجماهير- بغض النظر عن اللغة التي يتحدثون بها- ومن هنا أدرك السياسيون عظمة السينما، ونظروا إليها كأداة

سهلة الوصول إلى جميع الفئات، لهذا استغلوها في الترويج لأفكارهم وتوجهاتهم المختلفة.

وقد شهدت السينما نقطة تحول ثانية عندما دخلت تقنية الصوت إلى السينما، لينبهر المتلقي بالصوت المتزامن مع حركة شفاه الممثلين ليشعر بأنهم موجودون أمامه كالمسرح دون الحاجة إلى عزف أوكسترا موجودة خصيصًا داخل دور العرض أو مشاهدة لقطات سريعة صامتة. وهنا تغيرت النظرة الإستغلالية للسينما بسبب عامل اللغة الذى أصبح عائقًا أمام الكثيرين، فلجأ البعض إلى الدوبلاج من أجل تيسير الأمور، لينتهي المطاف إلى أن تصبح السينما بعيدة- إلى حد ما- عن الإستغلال السياسي، وبالأخص بعد نظام الرقابة.

علاوة على نظرة المجتمعات إلى الممثلين، والتي لا تشهد إختلافًا كبيراً بالرغم من اختلاف الثقافات، فقد كانت هذه النظرة التي غالبًا ما تكون متدنية عبئًا

على الصناعة وحياة هؤلاء الذين يمتهنون هذا المجال بسبب الشائعات التي تقوم عليها الجرائد. بالإضافة إلى تورط البعض منهم في الجرائم أو السياسة أو ما شابه بينما تنظر غالبية المجتمعات العربية إلى السينما بإعتبارها حرام، وأن نهاية الممثلين هى جزاء لما اقترفوه من ذنب!

١-السينما والمجتمع

تستمد السينما قوتها من المجتمع الذي تنشأ فيه، ولولا هذه القوة لما استمرت بالرغم من التحديات التي تواجهها بإستمرار. فإذا كان المجتمع مرحب بالفن السينمائي وداعمًا له، فُتحت الأبواب أمام المبدعين، وانطلقت المبادرات التي تحفز الصناعة وتمنح للسينما امتيازات، وكنتيجة لهذا يتم محو العقبات أمام صناع الأفلام. بينما إذا لم يرحب المجتمع بالسينما، فسوف تُخلق العراقيل والعقبات تحت مسمى "الرقابة" أو "المحافظة على الذوق العام" أو غيرها من المسميات التي من خلالها تخلق قوانين تقيد الحركة الفنية.

كما يعتبر المجتمع هو المسئول الأول عن السينما وتطورها، ولكنه في نفس الوقت يسير وفقًا لعادات وتقاليد متوارثة عبر الأجيال. لم تكن صناعة السينما وليدة الصدفة في المجتمع العربي أو بفضل من المستعمر- الذي كان يرى من الدول العربية خير الأسواق لمنتجات بلاده- بل هى فرع من الفنون المتوغلة داخل الثقافة بالرغم من حداثة نشأتها. ورأت السينما أن تستمد قصصها من المجتمع الذي تتواجد به حتى يتناسب ما يعرض على الشاشة مع الثقافة المتاحة، وبالتالي تضمن الربح المادي والإنتشار. ومن الملاحظ أن غالبية المجتمعات اتفقت على تحريم ثلاثة موضوعات من الصعب على السينما أن تقتحمها إلا في غلاف رمزي، وهى السياسة والجنس والدين.

وترتبط نوعية الأفلام التي تعرض على الشاشات بنظرة المجتمع إلى السينما بشكل عام، فالبعض يرى أن السينما أداة تعليمية قبل أن تكون ترفيهية، وآخرون ينظرون إليها على إنها مصدر موثوق فيه يعرض من خلاله الأحداث

التاريخية- دون الإلتفات إلى حق المؤلف السينمائي في عدم التقيد بمصداقية الأحداث، وذلك بما يتناسب مع رؤيته الدرامية. بينما شهدت المجتمعات العربية هجمة عنيفة على السينما مع صعود التيارات الدينية المتطرفة على الساحة عبر السنوات، وقد تم اتهامها بأنها مصدر للفسق والفجور وإشاعة الإنحراف بين الناس، وظهرت " تهمة" إزدراء الأديان لكل من يتناول خلال فيلمه ملمحًا دينيًا. كل هذا أدى إلى ركود السينما لفترات بعد أن كانت مصدرًا هامًا للإبداع بالإضافة إلى تحطيم حرية الفكر، ومن ثم تأخرت السينما العربية في الحصول على مقعد بين السينمات العالمية.

لم تسلم السينما من صفحات الجرائد، والتي لم يقتصر دورها على الدعاية للأفلام بل امتدت الأقلام لتتعدى على حرية الممثلين والممثلات بحجة إثارة فضول القارئ، ولكن في حقيقة الأمر ما هى إلا وسيلة لضمان بيع الجرائد والمنفعة المادية دون النظر إلى تلويث سمعة أهل الفن. علاوة على ترسيخ

صورة معينة لهذا المجال، وبذلك باتت السينما فريسة سهلة لمنتقديها، ولكل من يحاول أن يهدمها. كما أصبحت الشماعة التي يتم تعليق أقدار الناس عليها ومصائرهم المخيفة بسبب انضمامهم لهذ الوسط الذي يتصف بالإنحلال الأخلاقي على الرغم من أن الذي يتمعن في النظر إلى المجالات الأخرى سيجد أن هناك الخيَر والسئ، وهذا هو الطبيعي داخل أي مجتمع، ولكن يبدو أن السينما صاحبة النصيب الأكبر من العيوب!

لقد تغيرت نظرة المتلقي إلى السينما منذ أن كانت مجرد صور متحركة تعرض على الشاشة في المقهى أو منازل الوجهاء حيث الإنبهار بهذا الإختراع العجيب. وعندما دخلت تقنية الصوت المتزامن مع الصورة، اتخذت السينما مكانًا هامًا بين الفنون الأخرى، ولاسيما بعد أن دخلت في سباق البقاء للأقوى مع المسرح ثم تطورت لتتعد الأنواع الفيلمية في سبيل إرضاء جميع الأذواق. وقد قوبلت كل هذه التطورات بالترحيب من المتلقي الذي لا يجد حرجًا من ارتياد دور

العرض، ولكن بقاء الحال من المحال حيث كانت قوة الإرهاب في بعض الفترات سائدة لدرجة أدت إلى تعطيل مسيرتها مما أدى إلى تغيير نظرة المتلقي إلى السينما، والتي لا زالت موجودة حتى يومنا هذا.

تأخذنا هذه النظرة إلى توغل التطرف الديني في السينما حيث خرجت علينا أسئلة غريبة، على سبيل المثال لا الحصر، "هل السينما حرام أم حلال؟"، "هل مصائر بعض الممثلين والممثلات المخيفة مرتبطة بما يحدث داخل الأفلام من ملابس مكشوفة وقبلات حارة وإلى ما ذلك؟"، " هل مشاهدة القبلات التي تعرض في الأفلام حرام؟"، وإلى غيرها من أسئلة. يستدعي هذا النظر إلى ما حدث داخل عقلية المتلقي من تحول عبر السنين، فبعد أن كان المجتمع متقبلاً لجميع ملابس المرأة دون النظر إلى ما هو حرام أو حلال، أصبحت هناك أصوات عالية تحرم على الناس الحياة. لم تظهر هذه الأصوات من فراغ أو من قبيل الصدفة بل اتاح لها المجتمع هذه الفرصة لتنتشر بسرعة البرق بين الأجيال

المختلفة بغرض الإصلاح من الشأن العام على حساب إتاحة الفرصة أمام الأجيال للتفكر والتدبر في أمور الدين. لقد استسهل الناس الطريق إلى الدين من خلال الإستماع إلى أشخاص يدَعون التدين، وتناسوا أن الدين يدعو إلى التأمل وتمعن النظر في الكون. كل هذا أثر بالسلب على حرية الإبداع السينمائي، والذي أدى إلى احتضار السينما بخطوات بطيئة دون تدخل صارم من قبل الجهات المعنية.

كما لم تسلم السينما من أيادي الرأسمالية، وبالأخص بعد أن أصبح الإنتاج السينمائي لا يدار من قبل مؤسسات الدولة، وبذلك أصبحت النظرة تجاهها تتلخص في السؤال عن كيفية الحصول على أرباح بشكل مضمون وسريع. لقد أدت هذه النظرة إلى تكرار الأنواع الفيلمية والتوليفات الجاهزة التي تسعى إلى تسطيح المضمون لضمان الربح المادي على حساب الربح الفني مما جعل السينما عبارة عن اكليشيهات باهتة. بالإضافة إلى تلميع من هم أقل موهبة

على حساب المواهب الحقيقية بسبب معايير النظرة التجارية، والتي تستند على أهمية المظهر الخارجي للممثلين والممثلات.

ومن الملاحظ أن هناك علاقة وطيدة بين الصحافة والإنتاج حيث تعتبر الصحافة منفذًا هامًا للإنتاج، وذلك بسبب المصالح المشتركة بين الطرفين. يعتمد الإنتاج السينمائي على الدعاية من خلال الصحافة بينما تراها الصحافة تربة خصبة لقصصها اللامتناهية. هذا التبادل المشترك يخلق حالة من الإستمرارية بالرغم من الشُبهات التي تحيطه، فبدون الصحافة لا يجد الإنتاج منفذًا لإنتاجه السينمائي، ولا يستطيع الوصول إلى الجمهور العريض الذي يتلهف لكل ما هو جديد لملأ حالة الفراغ الذي يشهدها. على جانب آخر، لا تهتم جهات الإنتاج بخصوصية العاملين في الصناعة بل تنظر إليهم كسلع يمكن تسويقها بشكل أو بآخر من أجل الربح فقط. كل هذا يؤثر على العمر الإفتراضي للعنصر البشري داخل الصناعة، ويصبح مرتبطًا بالزمن وتجاعيده، لذلك – وبدون عمد- يدخل

الجميع في تنافس من أجل البقاء على الساحة سواء من خلال الحروب على صفحات الجرائد أو القضايا المثيرة للرأي العام أو الآراء الشخصية التي تحدث بلبلة واستنكار بين الناس. كل هذا يصب في مصلحة طرفي الصراع الرئيسي: الصحافة والإنتاج، ومن ثم تستمر الدائرة بشكل لا منتهي، وبأشكال مختلفة عبر الزمن.

غالبًا ما يُطلق على النجوم والنجمات لقب "نجوم المجتمع" نظرًا لتمتعهم بشعبية كبيرة بين الجمهور كما يتم النظر إليهم كآلهة مبجلة من الصعب مقابلتهم أو التحدث إليهم. تُسلط الأضواء عليهم من أجل الإثارة والتشويق، دون أن يشعر أحد بأوجاعهم أو آلآمهم المستعصية. يتعجب البعض عندما يصرح أحد النجوم بأنه يتمنى لو يعيش حياة عادية، ويستطيع أن يكون أسرة، ويبتعد عن الأضواء بينما يستنكر البعض حياة النجوم ويصفها بأنها سبب الفساد داخل المجتمع. لذا يعيش النجوم والنجمات حياة أشبه بحياة البحارة

في عرض البحر حيث البحث عن الهدوء من خلال البعد عن عالم البشر القاسي، ولكنهم يتمنون في الوقت ذاته أن يلمسوا الشاطئ بأقدامهم ولو للحظات.

يتمنى غالبية الشباب أن يدخل هذا العالم المبهج الذي تحيطه الأضواء والزينة، ويطاردهم حلم الوقوف أمام الكاميرا أو خلفها، ويتصدر صورهم عنوانين الأخبار دون أن يضعوا في اعتبارهم أن لكل طريق عواقب وصعوبات ينبغي الإستعداد لها. ومع غياب الجهات المعنية أصبحت صناعة السينما مرتعًا لكل من هب ودب، مما أثر بالسلب على سمعة السينما بشكل عام. على سبيل المثال، يتم استغلال البعض من خلال اقناعهم بوهج الشهرة والنجومية السريعة في سبيل القيام بأفعال لا أخلاقية كما أن البعض يتستر تحت غطاء الشهرة، ويرتكب الحماقات، ويقوم بإستفزاز الجمهور، ويبرر موقفه بأن هذه خصوصية لا يسمح لأحد أن يتعداها. بالإضافة إلى تجاهل خريجي الأكاديميات والمدارس السينمائية، وأصحاب الإتجاهات المستقلة، وبالتالي إهدار الطاقات

الإبداعية. كل هذا أدى إلي خلق حالة من الفوضى الغير مبررة، والتي تلعب بدورها دورًا هامًا في تسطيح السينما وتصدير موضوعات تتسم بالبلاهة والسذاجة، ويكون الضحية في النهاية هو المجتمع الذي يشاهد هذا الفن.

لم تتوقف الفوضى على فتح الباب على مصرعيه للكل تحت بند الموهبة بل امتدت إلى ظهور "ورش فنية" لتعليم تقنيات السينما المختلفة دون إشراف من جهة مختصة، وفي نهاية المطاف يشعر المتقدم لهذه الورش بـ"النصب" حيث "وماذا بعد هذه الورش؟" لقد قام المتقدم بالإستفادة ببعض المعلومات التي تتيح له نظرة عامة وسريعة على الصناعة السينمائية، ولكن بدون تطبيق عملي أو ممارسة تتيح له فرصة تطبيق ما تعلمه ويستفيد به. علاوة على أن هذه الورش تقام تحت رعاية "ذوى الخبرة الفنية الطويلة" أو "القصيرة" بمبالغ طائلة لمجرد أن سوق السينما تركهم دون أي ضمانات أمام المستقبل. كما تواجه هذه المأساة كل من لم يحالفه الحظ في الإنضمام إلى الإكاديمية أو

المدارس المختصة - ذات المصاريف المبالغ فيها، وكأن تعليم السينما أصبح مقتصراً على من يمتلكون المال! وبالتالي يتشبث بحبال الأمل الواهية لتحقيق حلمه صعب المنال، ولكن خيبة الأمل التي تحاصره فى النهاية لا تقدر بثمن.

من ناحية أخرى، تمثل السينما فئات المجتمع المختلفة من خلال الأفلام التي تعرض في دور العرض سواء محلياً أو يتم تصديرها إلى الخارج، وبالتالي تعبر عن المجتمع، ومشاكله، وهمومه، وتصدير هذه الصورة للمجتمعات الأخرى. لذا يأخذ الغريب أو الأجنبي انطباع عن هذا المجتمع من خلال مشاهدة هذه الأفلام، ويترسخ في ذهنه بعض المعتقدات قبل أن يزور هذا البلد أو يتعامل مع أحد أفراده. لقد أدركت بعض الدول هذا الدور الهام الذي تلعبه السينما منذ زمن بعيد، لذلك استغلت السينما في تطويع استراتيجيات هامة لتصدر من خلالها صورة جنة الله على أرضها. في حين وقعت بعض الدول في فخ الفوضى،

والبحث عن الربح بأي صورة، ومن ثم تأثرت صورة مجتمعها بشكل سلبي، وبات من الصعب تغييرها.

تأخذ النساء والفتيات المغتربات النصيب الأكبر من هذه المعاناة جراء هذه الصورة السينمائية التي لا تمثل مجتمعهم، ويتم بناء تخيليات وهمية من قبل مشاهدي هذه الأفلام ليتم التعامل معهن بناءً على هذه الصورة. علاوة على الصدمة التي يتلقاها الغريب أو الأجنبي عندما يزور هذا المجتمع، ويتعامل مع أفراده وجهًا لوجه، وبذلك يعقد مقارنة في ذهنه بين ما رآه على شاشات السينما ومع ما يجده على أرض الواقع. ولكن ليس كل الناس يمتلكون رفاهية السفر، والتعرف على الثقافات المختلفة، لذا يستمر هذا الإنطباع مع الأغلبية لفترات طويلة.

٢- السينما والأسرة

تعتبر الأسرة هى النموذج المصغر من المجتمع الكبير الذي يحتوي الفن السينمائي بداخله، بمعنى أنها تؤثر وتتأثر بما يُعرض على شاشات دورالعرض، وبذلك يمكن اعتبار أن الأسرة هى المحرك الخفي للصناعة على حسب قبولها أو رفضها لما يُعرض. من ناحية أخرى، تختلف نظرة الأسرة تجاه الفن السينمائي بطبيعة الحال عن المجتمع، لأن النظرة هنا فردية بينما المجتمع يشمل الفرد والدولة. بالإضافة إلى عنصري الحرية ورأس المال، فربان الأسرة هو المتحكم الرئيسي في توجهات الأفراد بحجة الحفاظ على العادات والتقاليد من ناحية، ومن ناحية أخرى يتصرف بناءَ على الدخل المالي.

يتحدد مصير شباك التذاكر دائمًا بعدد مرتادي السينما من الأسر والأفراد، لذلك تتأثر السينما بالأنواع الفيليمة المناسبة لقطاع عريض من الفئات. ومن الملاحظ أن الأكشن والرومانسى والحرب غالبًا ما يتم الترويج إليهم بسهولة داخل الثقافات المختلفة- بالرغم من تكرار نفس الثيمات - بينما هناك بعض الأنواع

الفيلمية التي يثار حولها الجدل، أو بمعنى أحرى هناك من لا يهتم بها. لهذا فليس من الغريب أن يتم وضع الأفلام داخل قوالب بعينها لفترات زمنية طويلة إلا من تجرأ وفكر خارج الصندوق ليحلق بعيدًا عن هذه القوالب، ولكن لا ترحمه أقلام النقد والإتهامات. وقد أدى ذلك لظهور السينما المستقلة، والتي تلعب دورًا بارزًا خارج نطاق نظرية التجارة البحتة التي تقوم على السعي الأعمى للأرباح . ولكنها تقع فى المنطقة الرمادية ما بين القبول والرفض من الأسرة، والتي ترى أن السينما وسيلة للترفيه وقضاء وقت ممتع محدد في جو أسري، سواء فى المنزل أو دور العرض، دون الدخول في نظريات فنية بحتة إلا القلة الذين نجحوا في تحقيق المعادلة الصعبة بين الترفيه والجمال.

ترى الأسرة أن السينما مجالًا صاخبًا يحاوطه الإشاعات وكلام الجرائد بإستمرار، فالبعض يرى في قصص مشاهير السينما نوعًا من التسلية أو ما يشغل وقته مؤقتًا بالحديث عن قضية ممثل أو ممثلة بينما ترى المراهقات أن السينما لا

تتوقف فقط عند الترفيه بل للإطلاع على أحدث صيحات الموضة، وأنواع المكياج، وإلى ما أخره من اهتمامات استهلاكية من خلال الممثلات. كما أن بوادر معايير فارس الأحلام يأتي من خلال السينما حيث النجوم الذين يتمتعون بالوسامة والرشاقة والأناقة التي تذيب قلوب العذارى. يرى المراهقون غالبًا أن السينما هى نافذة للإنفتاح على عوالم جديدة ومثيرة، يشتاقون للتطلع إليها بإستمرار بينما يرى الآباء أنها ملاذًا للتنفيس بعد يوم أو فترة من العمل الشاق.

لقد حاولت السينما مرارًا وتكرارًا أن تغير الصورة النمطية عنها بالرغم من حرب الصحافة عليها، ولكن كل هذه المحاولات غالبًا ما آلت بالفشل بسبب نظرة الآباء إليها. إذا صرح أحد الأبناء إلى والديهم برغبتهم في الإلتحاق بهذا المجال، دائمًا ما يكون الرد بالرفض أو الإنتهاء من الدراسة الجامعية ثم الإلتحاق بالمجال، وذلك لضمان وظيفة تحسبًا لأي عواقب في المستقبل. هذه النظرة تتحمل الصواب والخطأ في آن واحد لأن السينما دائمًا ما تبحث عن

الجديد والملفت والمثير دون الإعتبار لمن فنوا أعمارهم فيها. هذا المبدأ القاسي جعل الأسر تتخذ موقفًا صارمًا تجاهها بالإضافة إلى الإشاعات التي تصدر عن أهلها من حين إلى آخر مما جعل الأسرة تنظر إليها بتحفظ طوال الوقت.

ومن الملفت للنظر أن ربات البيوت هن أكثر من يهتمون بالإنتاج السينمائي المحلي عن غيرهم من الأجيال المختلفة، وذلك يرجع لشدة تأثرهن بالموضوعات التي تطرحها الأفلام. كما لا بد وأن تشارك السيدات في صياغة الأحداث، وإضافة الإحتمالات وبالأخص حول تلك التي لا يقتنعن بها. بينما يشاهد الرجال الفيلم بصمت رهيب، دون تفاعل إلا إذا كانت الكوميديا تأخذ مجراها. تبكي الفتيات من شدة الإندماج مع الفيلم سواء كان على جودة عالية أم لا بينما يمل الشباب سريعًا في أغلب الأوقات.

تسعى بعض الأنواع الفيلمية أن يُطلق عليها صفة "أفلام الأسرة" في إشارة إلى أنها تحافظ على القيم الأسرية، وتتصف بعدم خدش الحياء مما أدى إلى ظهور

مصطلح "السينما النظيفة"، والذي يشير إلى خلو الأفلام من القبلات والأحضان الحارة. كل هذا، وغيرها من ألقاب ومسميات تهين العمل السينمائي وتقلل من قدره، وتثبت بأن السينما مجالًا للرذيلة والفسق، والمبرر لذلك هو دعوة الناس لأفلام مبتذلة وسطحية هدفها الوحيد هو الربح المادي، وكأن المال هو اليد الخفية التي تعبث بحياتنا.

لقد حاول البعض إعطاء السينما صفة تعليمية من خلال صناعة أفلام يغلب عليها طابع الوعظ والنصيحة بهدف تعليم الناس كما ينتهي الفيلم بآية قرآنية أو حكمة يتجلى فيها معنى الفيلم أو الحياة بشكل عام. بينما تعمد البعض أن يهول في أداءه التمثيلى ظنًا منه أنه بذلك يبعد الناس عن ارتكاب المعاصى والآثام، وبالتالي تتحول السينما من حالة إبداعية إلى توظيفية بحتة. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأسر لا تستطيع تحمل ثمن تذكرة واحدة في ظل الأزمات الإقتصادية، لذلك فإن الهدف من هذه الأفلام لا يصل إلى الفئات المستهدفة،

حيث أن الفئة التي ترتاد السينما بإستمرار تفضل الكوميديا عن الأنواع التعليمية.

على جانب آخر، يعزي بعض منتجي الأفلام أنفسهم بأنهم أصحاب رصيد فني، وليس من المهم الربح التجاري بالرغم من أن عناصر السينما تتمحور حول ثلاثة عناصر، وهى الإبداع والصناعة والتجارة. كما أن استمرارية الفيلم عبر العقود والأجيال المتعاقبة يكمن في جودة الصناعة والإبداع، لذلك فأفلام الأبيض والأسود لايزال رصيد كبير منها مستمر ويتسم بصفة الخلود على عكس معظم ما تم إنتاجه في عصر التكنولوجيا الرقمية. وبات السؤال الذي يطرح نفسه، هل تغيرت أذواق الناس أم تغيرت النظرة إلى السينما؟

من الملاحظ أن الأسر المستهدفة يسيطر عليها فكرة قضاء ممتع خلال مدة عرض الفيلم، وعندما ينتهي الفيلم لا يهتمون بمشاهدة التتر أو الإشارة إلى صناع الفيلم. وهم بذلك يختلفون عن المهتمين بالصناعة، الذين يبذلون الكثير

في سبيل إخراج عمل يليق بتاريخهم الفني بينما يندمج الهواة مع القصة ومجريات الأحداث، لدرجة إعادة تخيلها بكونهم الأبطال أنفسهم، مما له تأثير واضح في تنمية خيال المتلقي العادي، وتطوير أفق تطلعاته سواء بالإيجاب أو السلب. على سبيل المثال، الشاب الذي يعاني من مشكلة ما في المجتمع سواء البطالة أو الإحباط أو صعوبة تحقيق الأحلام عندما يشاهد فيلمًا عن سيرة ذاتية لأحد الناجحين والمؤثرين في العالم، ويرى كيف أصبح ذو مقام عالي بعد تعب ومجهود عظيم، تكون النتيجة الحتمية بعد الفيلم أن هذا الشاب سوف تتغير نظرته إلى ما يدور حوله، وتصبح الشخصية التي شاهدها نموذجًا يحتذى به في تحقيق آماله.

على الجانب الآخر، الفتاة المراهقة التي تشاهد نجم السينما أمامها على الشاشة، وتتفاعل معه بوجدانها، سوف تواجه مشاكل مستقبلية عندما تتقبل الشخص الذي ترتبط به حيث لا بد وأن يحمل بعض الصفات التي يتمتع بها

البطل الذي اعتادت على مشاهدته، وتجميع صوره من الجرائد منذ صغرها. كما أن الأم التي تتعاطف بشدة مع مصير الشخصيات لا يمكنها الحكم مستقبلًا على من حولها إذا صادفت مشكلة حقيقية.

تلعب السينما على وتر الإنفعال العاطفي للمتلقي - خاصة الإناث- وذلك لضمان حسهم الرهيف، وسرعة اندماجهم مع الأبطال. لا يخلو فيلم سينمائي من إثارة العواطف سواء الحزن أو السعادة، ولكن فى نهاية الأمر يتم إشباع هذه الرغبات العاطفية بشكل سعيد في أغلب الأوقات. في حين إذا اجمع صناع الفيلم على إثارة التوتر، فسوف تكون النهاية مفتوحة ومتروكة لخيال وتوقعات المتلقي. علاوة على اللعب على أفق التوقعات بحيث يجد المتلقي متعة لا يمكن وصفها عندما يتوقع حدوث شئ بينما ما يحدث على الشاشة عكس توقعاته، وبالتالي ينجذب أكثر نحو الشاشة، وبصورة لا شعورية يقوم بهز قدميه بشكل عفوي من أجل معرفة المزيد.

وتتميز الصورة المثالية التي يطل بها النجوم والنجمات على المشاهدين برونق خاص حيث تصبح أمنية كل من هب ودب أن ينالوا نفس الطلة العالية التكلفة. يبدأ الشباب في تعلم الرياضة من أجل الحصول على جسم رشيق ورياضي ليجذب الإنتباه إليه، وليس من أجل صحته، بينما تلجأ الفتيات إلى عيادات التجميل من أجل الحصول على مظهر مثالي، كل هذا له تأثير سلبي على الوضع المعيشي للأسرة التي لا تتحمل أعباء لا حصر لها. على جانب آخر، تتباهى بعض الأسر بالحصول على بعض المقتنيات التي تم عرضها في أحد الأفلام أو السفر إلى نفس البلد التي اتجه إليها الأبطال أو إلى ما آخره من أشياء تعكس الروح الإستهلاكية.

تصدر السينما بعض العادات والتقاليد - سواء كانت مناسبة أو غير مناسبة- بعضها يتم التأثر به تحت بند "الموضة" أو مقتضيات الحياة المعاصرة، والآخر يتم الإجماع على انتقاده. علاوة على تأثر المراهقين بأفعال الأبطال داخل العمل

الفني، على سبيل المثال لا الحصر، إذا قام البطل بفعل بعض حركات الأكشن، يقوم المراهقين بتقليدها دون الإنتباه إلى أخطارها. التلفظ بكل ما هو سئ بحجة عرض شريحة ذات مستوى متدني، وبالتالي يقوم المراهقين بترديدها دون انتباه. تصرفات بعض الممثلين الغير مسؤولة، والتي لا تراعى الفئات العمرية، لها تأثير سلبي على المراهقين والشباب من الجنسين. كل هذه العوامل تواجه الأسرة وحدها آثارها السلبية، ومن ثم تنتشر الحوادث والحماقات بسبب التقليد الأعمى من المرسل إلى المستقبل.

وتتحمل الأسرة عادة أعباء الآثار التي تطلقها السينما على أفرادها، فقد تحولت السينما في الآونة الأخيرة من مصدر بهجة وترفيه إلى وسيلة للإسفاف والتكرار. فجأة أصبح هناك قالب واحد داخل السينما، لا يتغير ولو تغير الأبطال، فالألفاظ المتدنية والعبارات الخارجة والأفعال المشينة بحجة عرض الواقع، تؤثر بشكل سئ على الأزهار اليافعة التي في بداية طريقها. ولكن، وربما بسبب

سياسة الإنتاج المتحكمة في الصناعة مع غياب دور الجهات المعنية، أصبح هذا القالب- من وجهة نظر سماسرة الصناعة- هو الفائز في شباك التذاكر، ولو تنوعت أشكاله، فالمضمون واحد.

لقد أصبحت السينما في الحياة المعاصرة مصدرًا من مصادر التعب والإرهاق بالنسبة للأسرة بسبب إضافة مهمة أخرى لمهام الربان ألا وهى مراقبة الأولاد وما يشاهدونه لضمان الأمان لهم. علاوة على ارتفاع سعر التذاكر في بعض دور العرض بشكل مبالغ فيه مما عرقل الطريق أمام البعض للذهاب مع أسرته لقضاء بعض الوقت. هذا بالإضافة إلى أن جيل الآباء اعتاد على نوعية معينة من الأفلام بأبطالها المخضرمين، ولكن هذه الأفلام بدأت تتلاشى بسبب كبر سن أو وفاة الأبطال، ومن ثم خلق فجوة بين ما يُعرض، وما هو مُعتاد عليه مما يؤدى إلى حالة من الفتور والنقم على كل ما هو جديد لعدم وجود بدائل تتمتع بنفس القدر من الموهبة والثقافة.

٣- السينما والرومانسية

تحتل الأفلام الرومانسية مكانة خاصة بين جمهور السينما، وذلك بسبب إشباع الرغبات العاطفية وأحلام الفتيات بينما يواجه هذا النوع الفيلمي العديد من العراقيل التي تجعله دائمًا في تنافس مع من حوله من الأنواع الفيلمية الأخرى. وبالرغم من أن الفيلم الرومانسى يمثل نوعًا قائمًا بنفسه من خصائص وسمات، إلا أنه لا يوجد فيلمًا خاليًا من الإتجاه الرومانسي، فهو ينتشر بين جميع الأنواع بدون منازع. ليس من الضروري أن تكون الرومانسية بين فتاة وشاب يواجهان تحديات الأسرة من الجانبين لكى يكملا طريقهما معًا بل إن المفهوم يتسع ليشمل كل ما هو عاطفي.

هذا لا يمنع أن المشاكل والعراقيل التي يواجهها الفيلم الرومانسي داخل المجتمع هو النظرة إليه، فالصورة النمطية التي تتمثل في القبلات والمشاهد الحارة بين الشاب والفتاة لا تخلو من مخيلة قطاع عريض من المجتمع. ويرجع

ذلك لنفس السبب المتكرر في نمطية القوالب الفيلمية لسماسرة الأفلام لضمان الأرباح، دون الأخذ في الاعتبار النتائج السلبية المترتبة على ذلك. كما أن البعض يتحاشى دخول الأفلام الرومانسية مع الأسرة حتى يتجنب أي مشاهد خادشة للحياء – من وجهة نظره- حيث يمثل هذا التصرف نوعًا من أنواع الحفاظ على أسرته.

تحتل الأفلام الرومانسية مكانة رفيعة بين الشباب المراهق من الجنسين حيث تنمو بوادر المشاعر الجميلة بداخلهم. وفي ظل الحراسة المشددة عليهم بحجة التربية السليمة، يجدوا في هذه الأفلام المتنفس لأحلامهم الوردية. البعض يلجأ لمشاهدتها سرًا بينما يضطر البعض – بسبب الرقابة عليهم من الأسرة- أن يشاهدوا المتاح والمسموح لهم. الرقابة التي تضعها الأسرة على عاتق أفرادها من صغار السن تسبب مشاكل في المستقبل منها قلة أو انعدام الثقة بين الأبناء والآباء متمثلًا ذلك في ارتكاب أفعال مرفوضة في السر منذ مرحلة عمرية صغيرة

بينما الآباء الذين يتركون مساحة الإختيار للأبناء- بشروط وليس بقيود- لا يعانوا من هذه الأزمة في الكبر. كما تنشأ علاقة ثقة بين الطرفين، والتي تنمو بالتدريج حتى الوصول إلى بر الأمان.

كما تنشأ المخاوف من أفلام بعينها بسبب تطرقها لموضوعات تتسم بالجرأة وترفضها جميع المجتمعات بلا استثناءات، والتى تتمثل فى علاقة بين طرفين من نفس الجنس أو علاقة خارج إطار الزواج، أو بعض الحوادث الجنسية التي هزت المجتمعات من اغتصاب للفتيات أو الأطفال أو ما شابه ذلك. وقد وجدت بعض المجتمعات الحل لهذه النوعية من الأفلام، عن طريق تحديد الفئة العمرية التي يمكنها المشاهدة، ولكن هذه الفئة العمرية لا تتناسب مع جميع المجتمعات نظراً لإختلافات المرجعية الثقافية والعادات والتقاليد من ثقافة لأخرى. كما منعت الرقابة في المجتمعات الأخرى مثل هذه الأفلام، ولكن هذا لا يمنع تسربيها بين الأقلية بشكل ما أو بآخر حيث أن هذا التصرف أدى

إلى زيادة الطلب على هذه الأفلام بالإضافة إلى تحليها بسمعة تخيلية تميزها بين الأجواء المختلفة.

وقد أدى النظر إلى صناعة السينما كتجارة بحتة تبحث عن الأرباح إلى خلق أعراف ليس لها وجه من الصحة، فقد ساد بين الجميع اتفاق يشبه العرف إلى حد ما، تم من خلاله وضع قانون يتيح لجهة الإنتاج أن تضيف المشاهد الساخنة بهدف زيادة الأرباح دون الأخذ في الإعتبار إلى الضروريات الدرامية التي تحتم على العمل مثل هذه المشاهد من أجل اضاح حبكة فرعية أو تفسير ما لأفعال الشخصيات. وأصبح الأمر فوضوي لأي تفسيرات ومبررات واهية بغرض إضافة هذه النوعية من المشاهد، ومن ثم تغير مفهوم الرومانسية إلى إباحية مسموح بها.

علاوة على إنه تم الإعتماد بشكل كبير على أبطال الفيلم الرومانسي في ترسيخ مفهوم أن علاقة الحب بين الشاب والفتاة يكون في حدود معينة، حيث يتمتع

الشاب بالوسامة العالية والأخلاق الحميدة والشخصية القوية، والتي تكمن نقطة الضعف الوحيدة فيها في البكاء عند الفشل في الحصول على الحبيبة. بينما الفتاة فهى على درجة عالية من الجمال، والرشاقة حتى لو كانت تعانى من أزمات وأمامها العديد من العقبات، ولكنها تنتظر يد الحبيب التي تنتشلها من هذه الحياة. قد تبدو قصص الأفلام الرومانسية على قدر من السطحية والسذاجة حيث تتمحور الأحداث حول حالة الحب بين الطرفين، مما يؤدى إلى نفور شريحة الأعمار الكبيرة في السن منها على عكس مرتديها من المراهقين الذين يبحثوا عن جرعة من المشاعر الطيبة.

يتوغل خط الرومانسية في جميع الأفلام الروائية - دون استثناءات- حتى لو كان الموضوع الرئيسي يحتوى على العنف أو حرب أوسياسة أومتعلق بالأديان، فلابد في جميع الحالات أن تجد الخط الرومانسي الذي يضيف حيوية على القصة وإلا سوف يصبح الأمر في غاية التعقيد، ولن يحظى بإعجاب

المشاهدين. يلجأ كتاب الأفلام إلى هذا الخط الهام من أجل تخفيف حدة التوتر التي تسود الفيلم، وتهيئة المشاهد إلى الأحداث المتتالية. كما يدرك صناع الفيلم إنه لابد من الوقوف للحظات من أجل تخفيف وطأة الأحداث حتى لا تصبح القصة جافة، خالية من أي مشاعر. لذا يختلف الخط الرومانسى من فيلم إلى آخر على حسب النوع الفيلمي الذي يتضمن خط القصة الرومانسي، ولكن تكرار نفس الخط في نفس القالب يؤدى إلى الملل ونجاح توقعات المشاهد بالأحداث مما له تأثير سلبي على العمل بأكلمه.

وفي بعض الأحيان يتم التعامل مع المشاهد الحارة التي تندرج تحت مظلة الأفلام الرومانسية بالحذف أو التشويش من قبل المواقع الإلكترونية مما يجعل المتلقي فى حيرة من أمره على مدار الفيلم، وبالأخص إذا كانت هناك معلومة أو تفصيلة بسيطة مبنى عليها بعض الأحداث داخل هذه المشاهد. كما تلجأ المواقع الإلكترونية إلى هذه الحركة بحجة الحفاظ على الحياء العام بالرغم من

أن الشبكة العنكبوتية لا تخضع لأي رقابة، وبالتالي تنتشر المحتويات عليها بسرعة البرق، وكأن مسؤولي هذه المواقع الخاصة بتحميل الأفلام وضعوا أنفسهم نصب الرقابة دون الإعتبار لصناع الفيلم.

٤-السينما وتقبل الآخر

لا يقتصر دور السينما على قوالب بعينها بل يمتد دورها لنشر إيديولوجيات داخل المجتمعات المختلفة. يعتبر البعض أن هذا الدور يحمل شيئًا من الإيجابية بينما ينظر إليه البعض الآخر بنظرات الريبة والخوف بسبب اختلاف الأفكار من مجتمع إلى آخر. ولكن الجانب المشرق في هذا الأمر أن هناك بعض الأيديولوجيات المتفق عليها بين الجميع بالرغم من أن الساحة ليست مستعدة لتقبل كل شئ. هذا الجانب تم التعامل معه على عدة أصعدة مختلفة، وقد رحبت به الأغلبية مما ساعده على الإنتشار السريع.

ومن هذا المنطلق، تكون السينما قادرة على حل مشكلات من الصعب حلها فى المدارس أو الهيئات الحكومية حيث نشر أفكار بعينها يحتاج إلى صورة مرئية سريعة الإنتشار، ونشر جمل يستوعبها العامة بكل سهولة بعيدًا عن الإنشاء والمؤتمرات الرسمية التي تتسم بالتعقيد. فمن الممكن مواجهة اتجاه فكري معين، يهدد سلامة المجتمع، من خلال مشاهدة فيلم لمدة ساعة ونصف فقط. هذا الفيلم يستطيع أن يفعل ما لا تستطيع ندوات ثقافية ولا لقاءات تليفزيونية أن تفعله في تغيير نظرة الناس من وإلى إتجاه بعينه.

علاوة على سحر الصور المتحركة الذى يجعل المتلقي العادي- وبالأخص الغير متعلم- يتماهى مع ما يحدث أمامه حتى لو لم يتعرف على اللغة التي يتحدث بها الممثلون، حيث يستطيع ترجمة ما يحدث أمامه دون الحاجة إلى وسيط يرشده. تصب هذه النقطة في مصلحة الجهات المعنية التي ترغب في إرشاد المجتمعات نحو أهداف سامية، وترسيخ الأفكار البناءة لا الهدامة. وإذا حاولنا

توحيد المشاكل التي تواجهها المجتمعات سنجد منها، على سبيل المثال لا الحصر، التنمر، والإضطهاد (بمختلف أشكاله)،والإرهاب، والإختلاف، والمشاكل الأخلاقية، وإلى ما آخره.

يعتبر التنمر من الألوليات المعاصرة التي تضعها المجتمعات على أجندة الإصلاحات، فهو سلوك غير صحي ينتج عنه أفراد فاقدين الثقة بالنفس، ولا يستطيعون مواجهة مصاعب الحياة علاوة على اتجاه البعض إلى الإنتحار. ومن ثم يؤثر التنمر بالسلب على سير المجتمعات نحو التقدم والتطور كما لا تستطيع الأسرة والمدرسة الوقوف في مواجهة هذه القضية لوحدهما، ومن هنا تأتي أهمية السينما في تسليط الضوء على هذه المشكلة مع الأخذ في الاعتبار بأنها غير ملزمة بإيجاد حلول. ولكن، تقع السينما في فخ الأنماط الذي لا ينتهي، فنجد أنماطًا في الأفلام التي تسلط الضوء على المشكلة لا تتغير ولا تتبدل، وكأن المجتمع يقتصر على نفس الأحداث والشخصيات وخطوط الحبكة. ومن المرجح

أن هذا الفخ بسبب متطلبات الصناعة من تحديد الفئة العمرية التي من الممكن أن تتقبل نوعية هذه الأفلام بالإضافة إلى عمر النجوم الذين يعتبروا مصدرًا هامًا لجذب المشاهدين. ومع ترك الصناعة لسماسرة الإنتاج أصبحت هذه الأفلام باهتة لا تضيف شيئًا جديدًا سوى ضمان الربح المادي، ولكن إذا تدخلت الجهات المعنية لتغيير هذه النظرة الأحادية لكي تشمل قطاع عريض ممن يعانون من التنمر وتوضيح الآثار السلبية وكيف يمكن للأفراد مواجهتها، فسوف يتبدل الحال ليصبح أكثر إيجابية.

يعتبر الإضطهاد من المشكلات الأزلية التي تواجهها جميع المجتمعات، وهذا بسبب نظرة الفرد تجاه الآخرين. وتتعدد أشكال الإضطهاد، فمنها الديني، والعرقي، والسياسي، والنوعي (وتقع تحت مظلته قطاع كبير من النساء) كما أن ضحايا الإضطهاد لا يمكن حصرهم عبر العصور. ومن المثير للسخرية أن من يدعون إلى محاربة الإضطهاد هم أنفسهم من يمارسونه في أشكال متعددة، ولا

يمكن لوم جهة بعينها إزاء هذه المشكلة، فهي مشكلة جماعية تحتاج سنوات طويلة لمعالجتها. لذلك، يرى البعض أن السينما عليها مواجهة هذه الأزمة وحدها بعيدًا عن تكاتف الجميع لمساعدتها للنهوض من أجل الإستمرار في توعية المجتمع عن السلبيات التى تنتج عنها!

ويواجه الإنسان المعاصر أزمة الإضطهاد لوحده داخل المجتمعات المختلفة حتى لو كان الإعلام يصور بأن بعضًا من هذه المجتمعات أصحاب ثقافات مستنيرة، وتستطيع حماية الإنسان من جميع أشكال العنف إلا أنه يجب علينا مواجهة حقيقة أن الإضطهاد لا يخلو من أي مجتمع على وجه الأرض. كما أن المجتمعات التي تتدخل في تحديد نوعية الأفلام التي يتم عرضها تعرقل من سير عملية الإصلاح مما يزيد من الصعوبات التي تواجهها السينما. علاوة على أن الإضطهاد الذي يقع على عاتق المرأة يمثل تهديدًا مستقبليًا على المجتمعات

التي يكثر فيها حالات التحرش أو الإغتصاب بحجة عدم تشويه صورة هذا المجتمع أو تصدير انطباع سئ للثقافات الأخرى.

من ناحية أخرى، يتهم البعض السينما بأنها تشوه الدين أو الخطاب الديني، وذلك بسبب عرض نماذج مشوهة لرجال الدين، ولكن في حقيقة الأمر ما هى إلا إنعكاسات موجودة بالفعل داخل المجتمعات. ولعل أشهر الأمثلة في السينما لإنتقاد رجال الدين هو الفيلم الهندى PK ، والذي يتناول ببساطة في إطار كوميدي معنى الدين وكيف يتم تشويهه على أيدي المرتزقة ممن يدَعون أنهم رجال دين. كما تشير أصابع الإتهام دائمًا إلى السينما بأنها السبب في إشعال الفتن بين أفراد المجتمع الواحد، وذلك في حالة إذا تجرأ صناع الفيلم على مخاطبة العقل وانتقاد رجال الدين. كما لا يسأم المتربصين للسينما من سيل الإتهامات حول المال الذي يجنيه صناع السينما، والإفتاء حوله إذا كان حرامًا أم حلالًا بالإضافة إلى ترسيخ فكرة أن أهل الفن هم أهل النار.

تتجلى فكرة الإختلاف حول خروج الإنسان من مسار المألوف المحيط به، مما يجعله يقع فى دوامة من الأزمات سواء على الصعيد النفسي أو الإجتماعي. على سبيل المثال، إذا ألقينا الضوء على الفتيات داخل المجتمعات العربية، سوف نلاحظ أنهن يواجهن طوفان من المشكلات بالرغم من إدعاء هذه المجتمعات أن الدين الإسلامي يكرم المرأة، ويحفظ حقوقهن، ولكن ما يظهر على أرض الواقع يختلف اختلافًا كبيراً عن الدين، ويرجع السبب لهذه المشكلة أن هذه المجتمعات تضع عراقيل أمامهن بسبب كونهن "إناثًا". وعند تناول السينما لهذه الأزمة، تعلو الألسنة التي تهاجم هذه الموضوعات بحجة أنها مغلوطة وعلى أساس غير سليم، ولكن عند إمعان النظر سوف يتضح أنها تناقش الأفكار المتوارثة، وتحاول معالجتها.

تشترط بعض المجتمعات على أفرادها عدم الخروج عن المسار المرسوم لهم، ومن يتجرأ يجد نفسه معاقبًا على هذا الإثم العظيم. عند تناول السينما لبعض

الموضوعات التي تدور حول الجنس أو الإلحاد، لا نجد لها قبولًا في العلن بينما يتمتع العمل في السر بالإعجاب من قبل البعض الذين لا يجرأوا على إعلان آراءهم خوفًا من الإنتقادات أو إلحاق التهم بهم. ومن هنا يتم عرقلة الإبداع الفني بسبب هيمنة البعض على حرية الفكر بحجة عدم نشر الفساد أو تكسير التابوهات بينما تصبح الساحة فارغة بالكامل لسماسرة الإنتاج بأفكارهم الملوثة.

٥-السينما والمستقبل والغير مألوف

تتميز السينما بقدرتها على خلق عوالم عديدة تختلف عن الواقع الذي يعيش فيه الإنسان، وبالرغم من ذلك فإنها تعكس في طيات هذه العوالم مشاكل الواقع بشكل غير مباشر حتى يتسنى لها مناقشتها بأريحية. كما أن للسينما أدواتها التي تمكنها من تطويع الخيال على أكمل وجه بحيث يمكن للمتلقي

العادي التماهي بروح طيبة مع ما يحدث أمامه على الشاشة، وكأنها حياة حقيقية لمدة دقائق محددة.

لقد أدرك صناع السينما الأوائل هذه السمة الفريدة التي تميز السينما عن باقى الفنون، فالرواية يمكنها الإعتماد على الوصف بينما المسرح يتمكن من ذلك عن طريق الديكورات والإضاءة والأزياء بالإضافة إلى روح المبدع الحاضرة على خشبة المسرح، وتعتبر هذه سمة رئيسية يتميز بها المسرح عن باقي الفنون. السينما تجلب التخيل وروح المبدع أمام المتلقي على الشاشة، والذي يتفاعل معها بحواسه وإحساسه النقي بينما يغيب عنه التفاعل المباشر كما في المسرح.

من خلال المستقبل يستطيع الفنان أن يرى العالم كما يريد، دون قيود أو منطق أو حاجة إلى شرح وتفسير أدق التفاصيل بل تركها كما هى، وعلى المشاهد أن يفسر كما يريد. يرى البعض أن أفلام الخيال العلمي ما هى إلا

إهدار للوقت، ومن ثم يُطرح السؤال المعتاد ألا وهو، ما هى الإستفادة وراء تلك الأفلام سوى تمجيد دولة بعينها بدلاً من أن يُطرح السؤال عن كيفية الإستعداد للمتغيرات التي حتمًا ستغير العالم. ومن هنا ننطلق إلى نقطة أخرى ألا وهى استخدام العلم للسينما في طرح الأمور والموضوعات المعقدة، والتي من الصعب شرحها بطريقة علمية.

استكمالًا لما سبق، فهناك العديد من الأفلام السينمائية التي تقع داخل إطار الخيال العلمي- وبغض النظر إذا كان الهدف من وراءها هو الربح المادي أم لا- فإنها تطرح العديد من الإحتمالات التي من الممكن أن تحدث داخل الكوكب أو في الفضاء أو لشكل الحياة في المستقبل. إن الأفلام التي تتناول الكوارث - والتي لا يستطيع العلم أن يسيطر عليها أو تلك التي تغير من شكل الحياة- يمكن اعتبارها تبنؤات لبعض العلماء بينما يأتي دور السينما في تبسيط هذه التنبوءات وعرضها للمتلقي الذي يتفاعل معها. كما أن الأفلام التي تعرض

الحياة في الفضاء سواء داخل محطة فضائية والصعوبات التي يواجهها رواد الفضاء أو الحياة بشكل تخيلي في الفضاء إذا تمكن الإنسان من هذا الأمر يومًا ما، ما هى إلا بذور لحياة من المحتمل أن تتشكل في المستقبل. بالإضافة إلى عرض التخيلات المحتملة للحياة على الكواكب الآخرى أو المجرات بعيدًا عن الحياة على كوكب الأرض سواء كان ذلك في فيلم رسوم متحركة أو روائي طويل.

من خلال السينما، يستطيع العلم أن يعبر آفاق الخيال الجامح بكل سهولة ويسر نظرًا لما تمتلكه السينما من أدوات تمكنها من إنجاز الأمر دون عوائق، ومن ثم يمكنها أن تثري النظريات العلمية المختلفة من خلال هذه الأدوات التي لا يستطيع العلم توفيرها. كما أن هاجس الخوف من المستقبل يمكن للسينما أن تحتويه خلال مدة عرض الفيلم على الشاشة بالإضافة إلى بث الطمأنية والأمان في النفوس مما يؤثر بالإيجاب على المجتمعات التي تُحاصر من قبل التهديدات البيئية والتغيرات المناخية.

من ناحية أخرى، لايمكن للمبدع أن يتناول أمورًا من ابتكاره وحده، وذلك بسبب المنطق الذي لابد وأن يتواجد في ثنايا القصة التي تطرح أمرًا علميًا بالإضافة إلى تحري الدقة في التفاصيل المطروحة حتى لا يكون محل للنقد أو الخلاف. علاوة على جرعة المصداقية التي من الممكن أن تكون موجودة في المستقبل، وكنتيجة لذلك يتضح أن العمل السينمائي لا يقوم إلا بدراسة جادة وشاقة حتى يخرج على أكمل وجه. وتدرك السينما أهمية الدور الذي تلعبه داخل المجتمعات بعرض الموضوعات والتنبوءات العلمية المختلفة، صحيح أن أغلبها يقع تحت مظلة الربح المادي، ولكنها أيضًا تخدم العلم.

لم يتوقف تناول السينما على المشاكل الإجتماعية والعلمية وما غيرها، ولكنها أيضًا تطرقت إلى موضوعات غير مألوفة بالنسبة لقطاع عريض من الناس. يفسر البعض هذا الإتجاه بإنه نتيجة لما مر به العالم من أهوال حربين عالمتين راح ضحيتها الملايين كما اهتزت أسس الدين جراء هذه الممارسات الشنيعة التي لا

يقبلها عقل. ومن ثم، يمكن اعتبار أن السينما قد ترجمت كل ما هو غير طبيعي على الشاشة كنوع من المسئولية التي تقع على عاتقها حتى لا يشعر الإنسان بالغربة.

لا تنبذ السينما كل ما هو غير مألوف، ولكنها تطرحه حتى يتسنى للمجتمعات معالجته حتى لو تطرقت إلى الموضوعات المحرمة التي يرفضها الجميع، وذلك لأنها الداعم للإنسان في مواجهة كل ما يعيقه عن حريته وممارسة حقوقه حتى لو كان ضد الأعراف والتقاليد. لذا، نجد دائمًا أن الأصوات تتعالى ضد السينما، وتندد بهذه الجرأة المرفوضة حتى يصل الأمر للبعض أن هناك مؤامرة كونية تدبر للقضاء على البشرية بأسرها. وليس من الغريب- كما تمت الإشارة من قبل- أن يتم اتهام السينما بأنها منبع الفساد داخل المجتمعات، دون النظر بجدية للقضايا المطروحة.

تعبر أفلام الرعب، ومصاصي الدماء، والمستئذبين، وما غيرها عن أعماق النفس البشرية في صورة غريبة حيث تدور أحداثها- مثل جميع الأفلام- حول الخير والشر، وأن الخير متأصل داخل النفس البشرية بشكل غريزي وعفوي. بالإضافة إلى أن الدين والإيمان هما عماد البشرية، فنرى أن الإنتصار في كفة صاحب الإيمان القوي دائمًا، وليس للضعيف أو المتذبذب. وتلخص هذه النوعية من الأفلام حياة البشر في دائرة حب الخير ومساعدة الآخرين من أجل النجاة. تعتبر هذه الأفلام من النماذج الغير مألوفة، ولكنها تحظى بشعبية واسعة بين مختلف الثقافات كما أن العبر التي تطرحها يمكن رصدها بشكل غير مباشر.

لم تجد الموضوعات الغير مألوفة صعوبة في عرضها على الشاشة، وذلك نظراً لتلهف المتلقي على كل ما هو غريب ويغوص داخل النفس البشرية، والتي تبدو للبعض معقدة وغير مفهومة. كما تتمتع هذه الأفلام بعامل جذب بسبب العوامل السينمائية الفريدة مثل المؤثرات الصوتية والموسيقى المحفزة للأحداث

والمناظر الغريبة وإلخ، مما يجعل المشاهد يندمج سريعًا مع الأحداث، ومن ثم تتسارع دقات قلبه مع رؤية البطل في مواجهة الخطر. لم يبخل منتجي هذه الأفلام بشئ، وذلك حتى يتسنى الفرصة أمام صناع الفيلم لإخراجه بشكل متكامل وعالي الجودة، مع العلم أن المنتج على علم ودراية جيدة بأن العائد أكثر بكثير .

التليفزيون

التليفزيون كوسيط جماهيرى

يستحوذ التليفزيون على انتباه المشاهد نظراً لإعتماده المباشر على حاستي السمع والبصر، ويعد سبب انتشار التليفزيون بين مختلف الطبقات الإجتماعية في جميع الثقافات في سهولة حمله ووضعه داخل المنازل، وبالتدريج عبر السنوات أصبح وسيلة يمكن وصفها بأنها وسيلة اتصال شعبية للجميع. علاوة على أن دخول الألوان قد أضفى على التليفزيون جاذبية لا ينكرها أحد كما يصعب مقاومة إغرائها. ومن الجدير بالذكر أن للتليفزيون- ذلك الوسيط البديع- خصائص أهمها قربه من الإتصال الواقعي مما يزيد من فعاليته وأثره في نفوس المشاهدين، لدرجة اختلاط الأمور عند البعض، ومن ثم عدم قدرتهم على التمييز بين الواقع والخيال .

يتميز التليفزيون بقدرته اللا محدودة على تقديم أدق التفاصيل بوضوح كما إنه يقدم الشخصيات المؤثرة داخل المجتمع. كما يطلع المتلقي على مجريات

الأمور من حوله وفى العالم أول بأول، فهو ينقل الأحداث بالصوت والصورة كأنها تحدث أثناء اللحظة التي يشاهدها. لذلك فهو يعتبر النافذة التي يطل منها الجماهير على العالم بأجمعه بالإضافة إلى أنه الأقرب إلى الواقع، وبذلك يعتبر وسيلة هامة في الإقناع والوصول إلى أفراد المجتمع بغض النظر عن مستوى الثقافة والتعليم بينهم.

لا يقتصر الأمر عند ذلك فحسب، بل إن أهمية التليفزيون في حياة الفرد تتعدى نطاق الترفيه وقضاء وقت فراغ لمدة بضعة ساعات خارج إطار ضغوط الحياة من عمل ودراسة وغيرها حيث يقوم بأدوار متعددة ومتداخلة، منها التعليمي والتثقيفي والإعلاني والإعلامي والإخباري، ومنها ما يتعلق بالتبادل الحضاري والثقافي بين المجتمعات المختلفة. كما أن أهم دور يستحوذ عليه التليفزيون هو الدور الهام في تغيير القيم السيئة السائدة أو التعريف بالقيم الأخلاقية التي تحمي المجتمعات من التأثر بكل ما هو سلبي من خلال البرامج

الترفيهية أو الدراما التليفزيونية أو برامج التوك شو أو القنوات الإخبارية، وغيرها .

لا شك أن التليفزيون يتميز بكونه ذو قاعدة جماهيرية واسعة بسبب غزوه للمنازل والمقاهي والأماكن المختلفة، فهو لا يحتاج إلى قاعة عرض كبيرة مثل شاشة السينما مثلًا، وبالتالى يحتل المرتبة الأولى في نسبة المشاهدة. ولكن هذا لا يمنع أن هناك سلبيات يعاني منها الفرد، فمن الملاحظ بالنسبة لمعظم وسائل الترفيه الجماهيرية أنها تسعى إلى إرضاء وتسلية وأحيانًا تثقيف المتلقي، ولكنها تعتمد على الحوادث المألوفة والموضوعات المتكررة والأنماط الإعتقادية والسلوكية التقليدية، في حين أن هذا لا يمنع أن التليفزيون في بعض الأحيان يعتمد على نقد وتقييم وتقديم تفسيرات جديدة للواقع.

كما ينفرد التليفزيون بالقيام بدور التثقيف والترفيه بالإضافة إلى الأخبار والإرشاد والتوعية، هذا الدور الخطير الذي يحتله هذا الوسيط المتميز بوصوله

لقطاع عريض من الناس يؤثر بالسلب على الوسائط الأخرى مثل السينما والراديو كما يحمل كل العاملين به مسئولية مجتمع بأكمله، فهم الآن مسئولون عن بث استراتيجيات وأيديولوجيات وأفكار متعددة. لذا يقوم التليفزيون بوضع البرامج الثقافية التي تهدف إلى نشر الوعى بين المشاهدين، وقد تكون لغرض تعليم الأطفال أو نشر الوعي الصحي والمجتمعي ، وغيرها من البرامج التي تزيد الوعي ونشر الثقافة والإنفتاح على كل ما هو هام وجديد .

إذا نظرنا إلى المقصود بالمجتمع، سنجده ما هو إلا عبارة عن مجموعة من الأفراد والجماعات التي تعيش داخل موقع جغرافى محدد، تربط بينهم علاقات اجتماعية وثقافية ودينية. يدل ذلك على أن هناك مجموعة من الناس تعيش في إطار منظم، وضمن جماعة منظمة، يسعى كل واحد منهم في تحقيق المصالح والإحتياجات الخاصة بهم. ومع القاعدة العلمية التى تخبرنا بأن لكل

فعل رد فعل، سنلاحظ أن علماء الإجتماع والإتصال الجماهيري اهتموا برد الفعل الذي تحدثه المعلومة التي يتلقها الفرد، وإنعكاسها عليه، وكنتيجة لهذا يتطور المجتمع أو يتهدم بسبب نوعية وماهية هذه المعلومة. وهذا يلقي الضوء على الدور الإجتماعي الذي تلعبه الدراما التليفزيونية، والتي تقدم قالبًا ثقافيًا في شكل ترفيهي، سواء كانت هذه الدراما توجه الرأى العام لأهم المشكلات -بغض النظر عن ما إذا كانت تطرح حلولاً أم لا- أو تبث أفكار هادمة تؤثر بالسلب على المجتمع .

لا يختلف التليفزيون كثيراً عن ما تقدمه السينما من دراما طويلة أو قصيرة أو الجريدة المصورة أو الأفلام التسجيلية والوثائقية والقصيرة والروائية. كما يمزج التليفزيون بين الموضوعية والذاتية فيما يتعلق بالمتلقي، بمعنى أن الكاتب والمخرج يستطيعوا توجيه اهتمامات ومشاعر المتلقي وفق رؤيتهم الذاتية كما يتم جذب اهتمامه من خلال اللقطات القريبة واللقطات السريعة وحركة

الكاميرا وغيرها من طرق التوليف التي تثير التركيز على شئ أو حدث، وبذلك يمكن تحقيق الهدف بشكل فعال من لحظة بعينها من النص أو ربما يوجه الإنتباه إلى رد فعل غير مباشر بالإضافة إلى الحدث المباشر. كما أثر التنافس الشديد بين التليفزيون والمنصات الإلكترونية على "الكتابة" سواء للبرامج أو للدراما، وبالتالي ظهرت تحديات أمام الكاتب الذي عليه أن يفكر بشكل عالمي يناسب مختلف الثقافات والعادات والتقاليد بالإضافة إلى البحث عن ثيمات عالمية كي تصل إلى قطاع عريض من الناس.

لا يمكن لأحد أن ينكر أهمية التأثير الذي تحدثه الدراما التليفزيونية على سلوك أفراد المجتمع، وذلك من خلال تماهي المتلقي مع البطل على الشاشة. لذا عندما يواجه الفرد ظروفًا مشابهة لظروف البطل، نلاحظ أنه يسلك بشكل لا واعي نفس السلوك البطل. ومن ثم فإنه من الضروري أن يتم تقديم مادة سواء كانت متمثلة في نموذج أو موقف أو شخصيات أو سلوك أو غيرها، تمكن

المتلقي من الإندماج والتماهي بطريقة صحية ومؤثرة بشكل إيجابي داخل المجتمع كما تدفعه للأمام، وليس للجريمة أو العنف .

الدراما التليفزيونية والمجتمع

تعتمد الدراما التليفزيونية في مقامها الأول على الثقافة الدارجة داخل المجتمع، ومناقشة المشاكل التي يواجهها الأفراد. كما يعتبر الحوار أحد الأركان الهامة في صناعة الدراما التليفزيونية، فمن خلاله يتم دفع الأحداث وتطويرها بالإضافة إلى الإرهاص بما سوف يحدث أو الكشف عن معالم الشخصيات بجانب التأكيد على الصورة أو إضافة وسيلة من وسائل إقناع المتلقي. علاوة على أن هذا الفن ينظر إلى قضايا المجتمع والأحداث اليومية بعين الإعتبار، فهو يعتبرها أرض خصبة يتناول منها أعماله .

يعتقد المتلقي أن بعض القضايا والشخصيات التي تتعامل معهم الدراما التليفزيونية ما هم إلا صورًا نمطية تغطي الكثير من الجوانب من حياة

الجماعات المختلفة وسلوكيات المجتمع. بالإضافة إلى أن العالم الذي ترسمه الدراما التليفزيونية واقعيًا حتى يستطيع أن يتقبله المتلقي ويقتنع به، ويرجع ذلك بسبب جودة خلق هذا العالم الذي يعكف عليه صناع العمل من كتابة وإخراج وإضاءة وصوت وديكورات وأزياء وتمثيل لدرجة تجعله أشبه بالحقيقي. لذا يتعدى الأمر التسلية والترفيه حتى يصبح هذا العالم حقيقيًا في أذهان المشاهدين، ويتماهون معه، ولا يستطيعون التمييز بين هذا العالم المصطنع والواقعي .

ولا شك أن المتلقي يتأثر بشكل كبير بما يتم عرضه على شاشة التليفزيون ويندمج مع ما يدور من أحداث- وهو على علم تام بأن هذه الأحداث قد تبدو غير حقيقة- إلا أنه يعيش ويتعاطف ويتوحد معها بسبب الإثارة التي تتولد بداخله، والتي تدفعه لمتابعة ما يدور أمامه. هذا، ويوفر المسلسل الإثارة والمتعة للمشاهد- بإختلاف مستوى التعليم والثقافة- حيث يجد نفسه شغوفًا

إلى معرفة ما الذي ستؤول إليه الأحداث في الحلقة القادمة. كما لديه الفرصة في أن يمارس توقعاته مع كل حلقة، ويجد سعادته عندما تتوافق توقعاته ورؤيته وقراءاته مع ما يُعرض أمامه بينما يجد بعض المشاهدين سعادتهم في لوم الشخصيات في أفعالها، وينتقدونها إلى أن تتعرض لأزمة، وهنا يناقشون أن هذه الأزمة عقاباً للشخصية الشريرة أو فرصة لإعادتها إلى الطريق الصحيح مرة أخرى. وكأن المسلسل بالنسبة للمشاهدين ما هو إلا حياة في شكل مختصر، مسموح لهم بالتعليق عليها .

تختلف سيكولوجية متلقي الدراما التليفزيونية عن متلقي السينما الذي يشاهد فيلمًا خلال مدة محددة من الزمن، والذي يتشكل وعيه بالأحداث سريعًا على عكس المتلقي التليفزيونى الذي يتشكل وعيه ببطء نظراً لطبيعة سير الأحداث داخل المسلسل، والذي قد تتعدى حلقاته الأربعين حلقة. يرجع ذلك إلى أن الدراما تمتد إلى أعماق الحياة لتحاكيها ولتحليلها بسبب ارتباطها

بمشاكل الحياة الإجتماعية بالإضافة إلى اعتمادها على تفسيرات متعددة ووجهات نظر متباينة، وهو ما يثير النقاش داخل المشاهدين الذين يعلقون على الأحداث، مما يمنح الدراما خصائصها المميزة التي تمكنها من الإنتشار الجماهيري.

تعتبر الدراما التليفزيونية أهم أدوات التغيير الإجتماعي، وذلك من خلال المشاركة في تغيير العادات السيئة، والسلوكيات الغير مرغوب فيها، من خلال تقديمها للنماذج الإنسانية التي يستطيع المرء أن يتخذها قدوة ومثل يُحتذى به بالإضافة إلى المشاكل الإجتماعية وطرحها بشكل مبسط لتناسب جميع الفئات العمرية. وكنتيجة لهذا يتعلم الفرد بشكل غير مباشر من أخطاء الممثلين كما ينتبه إلى الأخطار التي تحاوطه. وتأتي ظاهرة العنف المبرر دراميًا، والذي تقوم به الشخصيات داخل العمل الدرامي، لتهدد النظام الأخلاقي والسلوكي، وبالتالي

لابد من استعادة التوازن والإستقرار داخل المجتمع بالإبتعاد عن أشكال العنف المبرر والغير مبرر دراميًا.

وإذا اتخذنا من الدراما المصرية مثالًا على حالة العنف واستخلاص الحق بالذراع بعد سيطرة القوة الغاشمة على الأحداث وعجز الجهات المختصة برد المظالم وإعادة الحق لأصحابه، نجد أن نتيجة هذه الأعمال التي تعتمد على هذه النوعية من الحبكات ترسخ في ذهن جيل كامل أن الحق لا يأتي إلا بالقوة وباستخدام العنف. يترتب على ذلك خلق الفوضى في الشوارع كما أصبحت رؤية الأسلحة البيضاء أو الآلية ظاهرة مألوفة في المناطق الشعبية بالإضافة إلى البلطجة ومقاومة قوات الشرطة كما شاعت ظاهرة القتل جهرًا أمام المارة. ومن ثم تحول دور الدراما من دور تربوي، وتعليمي وتثقيفي إلى دور سلبي ينشر العنف والبلطجة وثقافة مختلفة وبعيدة عن عادات وتقاليد وسمات المجتمع،

وبالأخص ظاهرة الشباب الذي يعري جسده ويرفع السلاح الأبيض ويرقص بشكل غير لائق في الأفراح والأعياد.

يتضح مما سبق ذكره أهمية الدور الذي تلعبه الدراما في تكوين الوعى للأفراد حيث لا يتوقف الأمر عند بث أفكار وقيم داخل المجتمع بل أيضًا تكوين صورة ذهنية عن الشعوب والمجتمعات الأخرى، وعدم التعامل مع العالم كما هو عليه في الواقع، ولكن العالم الذي يشكلونه بسبب الصورة المعروضة أمامهم على الشاشة. ولا شك أن ما تقدمه "بعض" الأعمال الدرامية من صور سلبية لبعض المجتمعات يؤثر بالسلب على إدراك المتلقي للواقع. لذلك فإن الدراما تعد قوة ثقافية مؤثرة لا يستهان بها، فالترويج للصورة الذهنية التي تخلقها أو في تصحيحها تغني عن البرامج والندوات الثقافية بسبب انتشارها الجماهيري، وقدرتها على تخطي حواجز الأمية .

لا يتوقف نجاح الدراما التليفزيونية عند الموضوع أوالشخصية محور المادة التي تقدمها بل على كيفية المعالجة وطريقة الطرح الدرامية. فكلما زادت درجة الحميمية بين المتلقي والمسلسل، تحققت الإثارة والمتابعة والشغف في معرفة ما ستؤول إليه الأحداث. لذلك فعلى الكاتب أن يسأل نفسه عن الفئة التي يستهدفها، ومبادئها، وأفكارها، وطبيعة القيم التي تتشكل داخل العمل الدرامي بالإضافة إلى اختيار النوع الدرامي المناسب، والذي يترتب عليه العمل ككل. وتتطلب كتابة الدراما القدرة على صياغة النصوص بكفاءة عالية، واختيار أشكال وأساليب الإعداد والإنتاج علاوة على استخدام الإمكانيات الفنية والتأثيرية المتاحة .

تتخذ الدراما التليفزيونية بعض الأشكال التي تميزها مثل التمثيلية، المسلسل، الفيلم التليفزيوني. التمثيلية هى قصة تُحكى من خلال مجموعة من الشخصيات كما تعتبر وحدة فنية متكاملة يتوفر فيها البناء العضوي للدراما.

تدور التمثيلية حول فكرة واضحة المعالم بالإضافة إلى كونها منطقية، وأحداثها تتميز بالإستمرارية منذ بدايتها. كما يتم تقديمها دفعة واحدة وغالبًا ما يتم زمن عرضها على الشاشة بين الساعة والساعة والنصف. يتميز المسلسل بكونه عمل درامي له بناؤه وخطته وفق معالجة الموضوع كما يعتبر عنصر التشويق أهم عناصر المسلسل. الفرق بين التمثيلية والمسلسل يكمن في وجود بعض القمم الدرامية أو العقد التي تنتهى بها كل حلقة. يتراوح وقت الحلقة في المسلسل ما بين الثلاثين والخمسين دقيقة كما يبلغ عدد حلقاته في المتوسط ثلاثة عشرة حلقة. في حين أن الفيلم التليفزيونى لا يختلف كثيراً عن الأفلام السينمائية حيث تتوافر فيه العناصر الدرامية، وتتراوح مدته الزمنية ما بين التسعين والمائة والعشرين دقيقة .

وتنقسم الدراما التليفزيونية إلى:

- **دراما إجتماعية: وهى الدراما التي تتناول موضوعًا أو مشكلة إجتماعية من واقع وظروف المجتمع حيث تسعى إلى توضيح أبعادها .**
- **دراما سياسية: وهى الدراما التي تتناول عادة الموضوعات السياسية سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى للدولة.**
- **دراما بوليسية: وتتميز بتناولها لموضوعات الجريمة ودور الأمن في الإستقرار الداخلي للمجتمع.**
- **دراما تاريخية: تلتزم الدراما التاريخية بعرض وجهة نظر في حقبة تاريخية معينة بالإضافة إلى مراعاة الأمانة العلمية في التحري عن الأحداث التي وقعت بالفعل خلال هذه الفترة دون تزيف أو تحريف للوقائع والأحداث.**

- **دراما دينية: تتناول الدراما الدينية الموضوعات والقضايا الدينية، وتعتمد في مقامها الأول على الكتب السماوية والكتابات الدينية دون إساءة أو شطط للأديان والتعاليم السماوية.**
- **دراما علمية: وهى التي تتعرض للفكر العلمي والعلماء والإنجازات والتطلعات العلمية المستقبلية وتحدياتها، وآثارها على البشرية.**
- **دراما السير الشخصية: وهى التي تتناول تاريخ سيرة شخصية علمية أو إجتماعية أو سياسية أو فنية أو أدبية وما خلفته من إنجازات أثرت بها التراث الحضارى.**

وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أن الدراما التليفزيونية ليست عن التغييرات التي يعيشها الأفراد فحسب، بل تشمل معاناتهم وطموحاتهم ورؤيتهم البسيطة عن الأحداث. بالإضافة إلى طرح القضايا التي تمس المجتمع، وتعتبر عن صدى الشارع، وما يدور فيه من أحداث تؤثر ويتأثر بها الأفراد.

وسائل التواصل الإجتماعي

• لمحة سريعة

لقد تغيرت المجتمعات العربية بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي حيث تحول الإهتمام إلى ما يُعرف بالسوشيال ميديا، والتى أصبحت بعد 2011 المصدر الرئيسي للمعلومات والمصدقية، بغض النظر عن المصدر ومدى المهنية التي يتبعها. كما ظهر الناشطين والناشطات الذين يسعون إلى الإصلاح، وتقديم ونشر آرائهم على وسائل التواصل الإجتماعي بينما سرعان ما غزى تويتر وفيس بوك -بشكل مبدئي- البيوت والعقول، وأصبح الإنترنت أداة رئيسية لا يمكن الإستغناء عنها مثل المأكل والمشرب والمسكن والهواء. ومع هذا التطور الملحوظ، تطورت أجهزة الهاتف المحمول لتناسب هذا الإستخدام، وبالتالي أصبحت هذه البلدان المتطعشة للتكنولوجيا أسواقاً مزدهرة لهذه الصناعة مما أثر على استغلال عامل الزمن للأفراد داخل

المجتمعات العربية، والذي أثر بدوره على الإنتاج، والإستهلاك، والحياة الإجتماعية.

الفيس بوك

لم يكن الفيس بوك تطبيقًا حديث العهد منذ اللحظات الأولى من إندلاع ثورة تونس الخضراء في نهاية 2010 بل كان تطبيقًا متعارف عليه منذ حوالي عام 2006، ولكنه كان نموذجًا يشبه إلى حد ما تطبيقًا آخر يسمى Hi5، مناسب لتحميل صور الأصدقاء والصور الشخصية والتعارف. كما كان يوجد عليه بعض الألعاب، وكان أشبه بدائرة مغلقة على المعارف والأصدقاء إلا إنه مع اللحظات الأولى للثورات أصبح المنصة الأولى ذات المصداقية التى يُبث من خلالها الأحداث بعد أن تخاذلت وسائل الإعلام التابعة للحكومات في رصد الأمور بشفافية.

تعتبر ثورات الربيع العربي هى نقطة الإنطلاق الفعلية لتطبيق فيس بوك حيث سرعان ما أصبح متداول بين الأعمار المختلفة. وبات الجميع يتحدث عن هذا التطبيق حتى كبار السن، الذين يستخدمون الهاتف المحمول من أجل إجراء بعض المكالمات فحسب، ولكن دفعهم الشغف للتعرف على الفيس بوك. وبالتدريج تحول من منصة للتعارف إلى منصة إعلامية يتابعها الجميع بعد فقدان المصداقية في القنوات التليفزيونية. علاوة على ظهور مشاهير جدد ينافسون المشاهير الذين اعتادوا الظهور على الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات. لم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب، ولكن مع تفاقم الأوضاع ظهرت الفرق والمجموعات التى تنافس بعضها البعض على المستوى السياسي، وبالتالى تطور استخدام الفيس بوك ليصبح منصة دعائية سياسية لكل فئة، يمكنها أن تبث أفكارها بكل حرية دون الحاجة إلى صحافة أو قنوات تليفزيونية.

لقد تعددت استخدامات الفيس بوك منذ 2011، وكأنه مثل العجين يمكن أن يتشكل على حسب رؤية كل جهة بعينها. بالإضافة إلى ظهور اتجاه جديد ألا وهو شبكة قنوات تدعمها بعض الجهات المختلفة عن بعضها البعض. لقد شهد العام 2011 إشاعة فوضى فى جميع مناحي الحياة، وكأنها لعنة سقطت على الشعوب العربية، حولتها إلى مناطق مشتعلة بالأحداث التي لا تهدأ. علاوة على فقدان الثقة بين الشعوب والإعلام مما جعل الفيس بوك يحتل مكانة بارزة، وأصبح ذو نفوذ وسلطان، فمن خلاله يتم توجيه الناس للخطأ والصح.

لقد فقدت الحكومات السيطرة على هذا التطبيق كما أصبح بالتبعية وسيلة ضغط، وليس وسيلة للترفيه أو التسلية، وسمح لمن يعيش فى أقصى العالم يشاهد مظاهرة في زقاق ويتصور أن الحياة قد أصابها الشلل في البلاد، وبالتالى تم تصدير صورة مزيفة عن ما يحدث على أرض الواقع. علاوة على تغيير

مسار الإعلام في البلاد التي أصابها شلل الثورات حيث ذهب بلا رجعة، ولم يعد الفرد العادي مهتم بشراء الصحف أو متابعة القنوات الحكومية بل أصبح الشغف على المحطات الفضائية التي تثير المتلقي العادي. فقد باتت الخناقات المفتعلة بين الضيوف والمذيع والشجار بالأيادي والضرب بالكراسي داخل الإستديو على الهواء مباشرة وتبادل السباب واللعنات والإتهامات، مادة جيدة ومضمونة. كما ظهر المذيعين الغير كفء، والذين تخلوا عن اللباقة الإعلامية وسياسة الحوار ليصبح استخدام الشتائم والطرق المبتذلة والمضحكة في بعض الأحيان وسيلة لجذب المشاهدين حتى يتمكن أصحاب هذه المحطات الفضائية من زيادة عدد المعلنين، وبالتالي تزداد الأرباح.

لقد تحول المشهد الإعلامي فى البلاد العربية التي عانت من ويلات ثورات الربيع العربي إلى ساحة من العبث والشهرة والربح المادي. لم يعد أحد يفكر فى حماية المواطن العادي داخل منزله في ظل الإنفلات الأمني أو السير بأمان

في الشوارع أو حتى مساعدة الدولة في النهوض من جديد. لقد أصبح ساحة للحرب بين الأحزاب والمستقلين وأصحاب المصالح الفردية بينما ظل المواطن العادي يسير خوفًا من بطش البلطجية وقطاع الطرق وحاملي السلاح، على أمل أن تستعيد البلاد أمنها من جديد. هذا بالإضافة إلى تحول الفيس بوك إلى أداة للدعاية الإنتخابية، وكأنما انحصرت الحياة بأجمها داخل هذا التطبيق، وبشكل تدريجي وربما يكون ممنهج، لدرجة أنه أصبح إدمان يحاوطنا من كل جانب، لدرجة أنه لا يمكن الإستغناء عنه. فكل لحظة لابد وأن يتم فتح التطبيق وكأنه بات من الضروري معرفة كل شئ في كل لحظة، وكأن العالم سوف ينتهي إذا لم نفتحه وننظر فيه.

لقد أصبح تحول هذا التطبيق من حالة اجتماعية إلى هوس مبالغ فيه يمثل تهديدًا على المجتمعات حيث لا يمكن للفرد العادي أن يستغنى عنه، وكأنما سوف يتوقف العالم إذا توقف هذا التطبيق ولو للحظات. من الملاحظ أن

الحكومات أيضًا تغيرت نظرتها إلى العالم الإلكتروني حيث أصبحت هناك صفحات رسمية لها، لتذيع منشوراتها على المواطنين. لقد كان من الأجدر بها ألا تلتفت إلى هذا التطبيق، والإلتفات إلى القنوات الرسمية في ظل هذه الفوضى. ولكنها لم تسلم حيث خرجت علينا الصفحات المزيفة مستخدمة اسم الجهات الرسمية لتنشر أخبار كاذبة، فما كان لصفحات الجهات الرسمية أن تكذب وتنفي هذه الأخبار، وأصبح الأمر عبثي بشكل متفاقم.

إذا نظرنا إلى التجربة المصرية بعين من الفحص بالنسبة للفرد العادي، والذي لا يهتم إلا بقوت يومه وسلامة أسرته، سنجد أن الفترة ما بين 2011:2016 فترة صعبة وشاقة على العديد من المستويات، يكمن أهمها في الحرب على الإرهاب، والذي لعب الفيس بوك دورًا هامًا ومميزًا لا يمكن نفيه خلال هذه المرحلة. فمن خلال حالة عدم المراقبة على الفيديوهات التى تبث على الفيس بوك تم تصدير صورة مزيفة عن حقيقة الأمر داخل الأراضي المصرية،

وبالأخص فى سيناء بغرض نشر الفزع والخوف بين المواطنين. كما أن الأمر لم يقتصر على ذلك فحسب، بل أيضاً عندما وقعت ثورة الثلاثين من يونيه أصبح الفيس بوك مكانًا للصراعات والآراء السياسية المختلفة.

لقد تعامل المصريون مع الفيس بوك كأنه واقع حقيقي وليس عالم إفتراضي، فأصبح الناس يتخاصمون ويحظرون بعضهم البعض عليه ثم عندما يتقابلون على أرض الواقع، يستخدموا الفيس بوك كحجة أساسية لتبرير أفعالهم. علاوة على استخدام معظم الشعب المصري هذا التطبيق حيث لا توجد رقابة فعلية على تقنين الإستخدام، ومن السهل أن يتم تزيف تاريخ الميلاد. بالإضافة إلى إشاعة الفتن والإشاعات والتي سرعان ما يتم تصديقها، وكأنها من مصدر موثوق مائة بالمائة، دون التحري عن مدى مصداقية هذه الأخبار. لقد حاولت البرامج الإخبارية والحوارية أن تصحح مفهوم الفيس بوك، وألا يجب على المواطن العادي أن يتخذه مصدرًا للأخبار، ولكنها نجحت بعد فترة طويلة

جدًا وبالأخص بعدما قلت الأعمال الإرهابية داخل نطاق المحافظات وشعور المواطن العادي بالأمن.

كما لعب الفيس بوك دورًا بين المراهقين خلال تلك الفترة داخل المجتمع المصري، فقد أصبح يا إما وسيلة لفضيحة الخصم أو عمليات إجرامية بدافع الإنتقام. لقد غزت أساليب جديدة المجتمع المصري، وأصبح شيئًا مألوفًا أن نرى صغار السن يتفاخرون بالإرتباط العاطفى بالرغم من أنهم لا يزالون فى سنوات المرحلة المدرسية. بالإضافة إلى ثقافة التباهي بشراء الملابس أو تصوير الطعام الفاخر أو تحميل فيديوهات لحفلات صاخبة أو زفاف. كل هذا أدى إلى عقد مقارنات بين الشباب الصغير بل وتعدى الأمر نطاق التربية حيث أصبح أيضًا من المألوف أن تقرأ تراشق الألفاظ على الصفحات بشكل عادي، والإشارة بالهمز واللمز.

لقد استخدمت شركات إنتاج المسلسلات الفيس بوك كوسيلة للدعاية، وربما يرجع السبب وراء ذلك هو كثرة المحطات الفضائية لدرجة أصبح معها من الصعب التمييز بين أيهما الأكثر مشاهدة. من ناحية أخرى، بسبب عزوف الملايين عن التليفزيون واستخدام الفيس بوك بديلاً عنه، فقد أصبح الإعلان عن مواعيد وقنوات العرض داخل سباق شهر رمضان أمرًا واقعيًا لا يقبل الشك. بالإضافة إلى إنشاء صفحات لشركات الإنتاج كدعاية عن أماكنها وطلب ممثلين لأداء تجارب الأداء، والإعلان عن كل ما هو جديد لديها. كما اتجه النجوم إلى الفيس بوك، وأصبح عاملاً جذابًا فى نشر معلومات عنهم بدلاً من أن تنشرها صفحات مزيفة بالنيابة عنهم. كما أدرك بعض المشاهير ضرورة التفاعل مع آراء المعجبين من خلال التعليقات حتى يصبح الأمر أكثر تشويقًا وعوضًا عن المقابلات الصحفية أو التليفزيون- والتى لم تعد مصدرًا للشغف بسبب الأحداث السياسية والإرهاب الذى انشغل بهما المجتمع المصري.

يعتبر عام 2017 نقطة التحول الثانية فى مسارالفيس بوك داخل المجتمع المصريحيث تغيرت نظرة الأفراد إليه، من منصة يُستمد منها الأخبار والدعاية إلى فوبيا الشهرة وجنون العظمة. فقد ظهر اتجاه جديد يُعرف بما يسمى "الترينd"، وهو حدث ما يقع لشخص، فيقوم الجميع بالتحدث عنه. بالإضافة إلى تطوير بعض التقنيات الموجودة داخل التطبيق، مما أدى إلى سهولة إجراء محادثات الفيديو والرسائل وتحميل الفيديوهات. لقد انشغل الأفراد بالرفاهية بعدما عادت الحياة إلى طبيعتها بشكل تدريجي، ومن ثم تعددت استخدامات الفيس بوك، وبالأخص بعدما هدأت الأوضاع داخل المحافظات الكبرى.

لقد ساد نوعًا من الملل داخل هذا التطبيق، والذي أثر عليه بالسلب نظرًا لعدم قدرته على توفير أى عامل جذاب ومشوق كالسابق حيث أصبحت القنوات الإخبارية التى تبث عليه يسيطر عليها الشك وعدم المصدقية.

بالإضافة إلى انشغال المجتمع بأحواله التى تأجلت لسنوات بسبب الأوضاع السياسية علاوة على نجاح بعض البرامج التليفزيونية، والتي جذبت الناس إليها نتيجة للمحتوى المختلف، والذي يبعد عن التوتر والشعور بنهاية العالم – مثلما حدث داخل هذا التطبيق لفترة طويلة- ومن ثم عاد الأفراد إلى شاشة التليفزيون من جديد بإختلاف المراحل العمرية.

كما انتشر شغف الظهور بين فئات الشباب، والتى تعتمد على إثارة كل ما هو مختلف لجذب الإنتباه، حتى لو على حساب العادات والتقاليد. ومع غياب الرقابة على المراهقين، أدى ذلك إلى ظاهرة التقليد الأعمى، والذى صدر صورة سيئة عن المجتمع داخل العالم الإفتراضي الكبير. لقد بات من السهل إرتكاب الحماقات أو نشر فيديوهات مخلة أو فضائح دون مراعاة الآخرين بل أصبح البعض يجد متعته فى قراءة أو مشاهدة كل ما هو غريب حتى يقتل الملل الذى يحاوطه.

ومع انتشار فيروس كورونا، والإغلاق الذى شهده العالم في عام 2020، عاد الفيس بوك من جديد بحصانه الأسود الرشيق، ليتربع على العرش بعد ظهور تطبيقات أخرى تنافسه بشرارة على الصدارة. يعتبر عام 2020 هو نقطة التحول الثالثة التي عاصرها الفيس بوك عالمياً، فمع الإغلاق والحجر الصحي وامتناع الناس عن النزول إلى الشوارع إلا في الضرورة القصوى، بات من الضروري تلبية احتياجات الناس بما يناسبهم ويلائم الظروف الطارئة. لقد تحول إلى منصة للسخرية مما يحدث، وإنتقاد، وبث مباشر لما آلت إليه الظروف فى بعض البلدان كما استخدمته بعض الشخصيات الهامة في توجيه الناس بضرورة الإلتزام بإتباع الإجراءات الصحية. علاوة على استخدامه في الأغراض التعليمية والعمل عن بعد، وكأنه أصبح عالمنا البديل الذي نلجأ إليه في الشدائد.

لم يتوقف العاملون على هذا التطبيق عن التطور حتى لا تُسحب هذه الميزة التي اكتسبها الفيس بوك في الشدة بل خرج علينا مصطلح جديد ألا وهو "الميتافيرس" فى الربع الأخير من عام 2021، والذي من المفترض أن يغير الحياة بأكملها. البعض يرى أن الميتافيرس يهدد الحياة الطبيعية حيث سوف نصبح أكثر عزلة بينما يرى البعض الآخر أن الحياة سوف تصبح أكثر رفاهية وسهولة حيث سوف يتمكن البشر من التسوق أو حضور مؤتمرات ومشاريع وإنجازات بشكل مباشر دون الحاجة إلى قطع مسافات طويلة أو إهدار وقت. كما أن السفر سواء عبر الأزمنة البعيدة أو السفر إلى البلاد الأخرى لن يحتاج إلى جواز سفر وطيران بل ضغط على زر واحد ليتمكن الإنسان من فعل كل ما يريد.

تويتر

هل يمكنك أن تعبر عن كل ما يجول بخاطرك فى حدود مائتين وثمانين حرفًا (فى السابق كان فى حدود المائة والأربعين حرفًا)؟!

هنا يكمن عنصر التميز حيث على الفرد اختزال كل أفكاره في حدود المائتين والثمانين حرف بقدر الإمكان، ولكن هناك من يتحايل على الأمر ويكتب فى آخر السطر "يُتبع" ثم يقوم بكتابة تغريدة أخرى حتى يتمكن من الإنتهاء مما يريد. هذه الطريقة تفقد روح التحدى الذي يضعها "تويتر" أمام مستخدميه كما تزيد الأمور تعقيدًا.

يدخل تطبيق تويتر في منافسة شرسة مع الفيس بوك، وذلك نظراً لمميزات كل منهم على حد سواء. إذا كنت من مستخدمي الفيس بوك، فمن المحتمل أن تواجه صعوبة في التعامل مع تويتر نظراً للإمكانيات المتعددة التي يتميز بها الفيس بوك من تحميل فيديوهات وصور وإتاحة مساحة للكتابة دون التقييد بعدد معين من الأحرف بالإضافة إلى سهولة التعامل مع التطبيق. على جانب

آخر من يتمكن من استخدام تطبيق تويتر يشعر بمساحة من الحرية عن استخدام الفيس بوك حيث يتيح تويتر التجول بخواطرك بين العديد مما يُطلق عليه "الهاشتاج"، ويتلقى الفرد حينها العديد من التفاعلات التي يتشارك معه فيها العديد من المستخدمين.

لقد لعب تطبيق "تويتر" دورًا هامًا في ثورات الربيع العربى حيث انطلقت من خلاله الشعارات الأولى والهاشتاجات التى تفاعل معها المستخدمين من كافة أنحاء العالم بالإضافة إلى مشاركة بعض من الشخصيات الهامة حول العالم الأحداث التي وقعت داخل البلدان العربية. علاوة على اعتباره منفذًا حيويًا للآراء واختلاف وجهات النظر بسبب تميزه بسرعة انتشار الأخبار والأحداث على عكس التطبيقات الأخرى.

يمكن من خلال هذه النظرة التي قد تبدو سطحية للبعض، اعتبار السنوات الأولى من ثورات الربيع العربى هى الفترة الذهبية لهذا التطبيق. فالبلدان

المصنفة كدول عالم ثالث لا يمكن أن ينتشر فيها مثل هذا التطبيق بهذه السرعة في فترات الهدوء والإستقرار بسبب عزوف الناس على استخدام الإنترنت إلا فى الضروريات المتعلقة بالتعليم أو العمل. بالإضافة إلى أن هذه التطبيقات كانت تمثل نوعًا من أنواع الضغط لتحسين كفاءة الإنترنت والهواتف الذكية.

السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف أثر هذا التطبيق على المجتمعات؟

لا يخلو أى شئ في الحياة من الإيجابيات والسلبيات، ولكن الحقيقة التي يجب على المجتمعات العربية التي شهدت ثورات الربيع العربى أن تعترف بها هى أنه لولا حالة عدم الإستقرار والتخبط السياسي التى شهدتها، لم انتشر هذا التطبيق بهذه السرعة بين الأفراد وبالأخص الشباب. الحالة العامة التي سيطرت على الشارع السياسي أدت إلى ميلاد اتجاه جديد ألا وهو عالم

الإنترنت. وعندما فقد الناس المصداقية في القنوات التليفزيونية، اتجهوا إلى الفيس بوك وتويتر لمتابعة الأحداث عن كثب.

يختلف تويتر عن الفيس بوك فى حالة الإثارة المتجددة التي يخلقها بين المستخدمين، ويرجع ذلك بسبب الهاشتاج الذي سرعان ما يثير حالة من الجدل، سواء كان هذا الجدل عبارة عن حادث ما أو خبر أو رأي أو حتى صورة، فالمهم أن يتصدر الأمر المرتبة الأولى فى الهاشتاج.

إذا ألقينا نظرة سريعة على تطبيق تويتر قبل ثورات الربيع العربي، سوف نقف أمام تطبيق من الصعب استخدامه بالنسبة لقطاع ليس بقليل من الشباب الذين كانوا ينظرون إلى الإنترنت بعين من التعرف والإستكشاف ثم تبدلت الأحوال بعد فوران الشارع السياسي مما أدى إلى هذا العالم. ومن الممكن تقسيم مراحل تويتر كالآتى:-

أولاً بدايات ثورات الربيع العربي:-

تحول تويتر إلى منصة تخوض الحرب السياسية ونشر الآراء لكل من هب ودب، دون تقييد أو قوانين تنظمه بل أصبح الأمر أشبه بالفوضى. ومع استغناء أفراد المجتمع عن الصحف، وعدم الإهتمام بما تبثه القنوات الفضائية، بات من السهل انتشار أيديولوجيات وأفكار بعينها توجه المجتمعات نحو مسار بعينه، دون التحقق من مدى مصداقية أصحاب هذه الحسابات التى تنشر مثل هذه الأفكار. يعتبر التخفى وراء الحسابات على مواقع التواصل الإجتماعي أشبه بآفة لا يمكن التخلص منها، فأي جماعة يمكنها التخفى وراء مجموعة من الحسابات المزيفة التي تبث أفكارًا تخدم أهدافها وأغراضها فقط دون الإهتمام بالصالح العام، وهذا هو الفخ الذي وقع فيه العديد من الأبرياء الذين انساقوا وراء هذه الأفكار والأخبار دون تفكير أو تفحص.

مع بدايات حالة الفوضى داخل الشارع العربي، لم ينتبه أحد لمصدر الإشاعات التى تنتشر بسرعة البرق بين الناس، وإشاعة حالة من الذعر والخوف داخل النفوس. حتى المشاهد والصور والفيديوهات التي كانت تبث على تويتر بات من السهل تزيفها حيث يمكن تصوير أى مشهد مفتعل في أي مكان ثم ينشر بعنوان ووصف يثير الرأى العام دون التحقق من مصداقيته. لقد استغل البعض هذه الخاصية- خاصية التخفي وعدم تتبع المصدر- فى تحقيق ضربات قوية تستهدف سواء الأمن أو الإقتصاد. فمن الملاحظ انعدام السياحة في البلاد التى كانت تعج بالسياح بسبب الأخبار التي تصدر صورة مشوهة. علاوة على انتشار مشاهد القتل أو الذبح أو العنف في الشوارع مما أثر بالسلب على الفرد العادي الذي يأمل في الأمن والآمان، وتصدير فكرة أن نهاية العالم قد اقتربت.

ثانياً تحول تويتر إلى منصة انتخابية:-

مع رحيل الأنظمة السابقة، حاولت البلاد العربية النهوض من جديد عن طريق الإنتخابات، والتي كانت تسير على خطى الفوضى المنتشرة فى جميع المجالات. لقد كان من العبث تحول المنصات الإلكترونية إلى منصات للدعاية الإنتخابية، وكأنما اجتمع العالم كله عليها، ويرجع ذلك بسبب شغف الشباب الأصغير سنًا بهذه التجربة الإلكترونية بينما انساق المخضرمين وراءهم دون تفكير في الجوانب السلبية التي سوف يصطدمون بها فى المستقبل بحجة أنها ثورات شبابية، وعليهم أن يخاطبوهم بطريقتهم. ما لم يكن في الحسبان أن هناك فئة قامت بالسخرية عليهم، وانتشرت الإيفيهات بين الشباب، ومع ازدياد حالة السخط من قبل المعارضين على ما يحدث على الساحة السياسية، باتت المناوشات بين المعارضين والمؤيدين على مسمع ومرئى من الجميع. بالإضافة إلى توثيق ما يحدث بالصور او الفيديو حيث أدى ذلك إلى استغلاله فيما بعد.

لقد بدا وكأن الحياة تسير على تويتر، داخل هذا العالم الإفتراضي الذي يبتعد عن العالم الواقعي، حيث يعيش الفرد التعيس الذي بالكاد يجد فتات يومه بالآلآف السنين الضوئية. قرارات تصدر من تويتر، آراء يجب على المسئولين بالدولة أن يتبعوها مصدرها تويتر، شخصيات غير مؤثرة داخل المجتمعات أصبحت دائرة اهتمام فئة- لا نعلم بالتحديد إذا كان أصحاب هذه الفئة حقيقيون أم مزيفون- تصدر أحكامًا إلزامية على المجتمع اتباعها. هذه الحالة من الهرج أدت في نهاية الأمر إلى نتيجتين، الأولى فقدان المصدقية في التطبيق، والثانية انتشار الفوضى بداخله.

ثالثاً تحول تويتر إلى منصة مسابقات للدراما العربية خلال السباق الرمضاني:

بعد أن استقرت الأحوال السياسية بداخل المجتمعات العربية، انتقلت عدوى الملل من تطبيق الفيس بوك إلى تويتر حيث لم يعد أحد يتناول الموضوعات السياسية بجدية، وبالأخص بعدما عادت المحطات التليفزيونية الخاصة بقوة،

وسحبت رونق الجاذبية من تحت أقدام الفيس بوك وتويتر. بالإضافة إلى كشف الأوراق والمستور أمام الشعوب التي انخدعت في بعض الشخصيات الذين كانوا لا يضجرون من الظهور الإعلامي، مما يطلق عليهم "رموز النضال السياسى" و "النخبة". لقد تغيرت نظرة الناس إلى تطبيقات التواصل الإجتماعي، وانقلبت الصورة، فقد أصبحت مصدر للفتنة والإشاعات والأخبار الكاذبة. لقد فقد تويتر جاذبيته كما فقدها الفيس بوك، ومن ثم تحول التطبيق إلى منصة للسباق الرمضاني، ومن يفوز بالترند!

لقد استغلت شركات الإنتاج وبعض الممثلين هذا الوضع المأسوي الذي يواجهه التطبيق للدعاية إلى أفلامها ومسلسلاتها. وبات الجميع يتصارع من أجل انتشار الترند، الأمر الذي أدى إلى تلاعب ملحوظ فيه بالإضافة إلى سخافة الأمر الذى أثر بالسلب على المحتوى النقدي لما يعرض على شاشة التليفزيون، فقد أصبحت كل الأعمال الدرامية تحتل المركز الأول!

لقد أدى سوء استخدام التطبيق من كل فئة لخدمة أغراضها، إلى ضياعه في هاوية الإستخدام العشوائى الغير مدروس بالإضافة إلى عدم تدخل الإدارة المختصة بالتطبيق لمنع حدوث هذه الفوضى. إن الأساس الذي يستمد منه تويتر قوته هو التواصل الإجتماعي، ولكن ما حدث وما يحدث يبتعد كثيراً عن هذا الهدف. لقد دخلت الجماعات الإرهابية لبث روح التطرف وإذاعة أفكارها بمنتهى الحرية والشفافية دون أي تدخل ملموس من الجهات المختصة. بالإضافة إلى تحوله إلى مصدر للتخريب، وذلك بالسماح للمستخدمين بإشاعة كل ما هو سلبي ويثير الفزع والرعب لدى الآخرين.

من الجدير بالذكر إنه من الملاحظ خلال الفترات التي واكبها تويتر داخل مجتمعات الثورات العربية إنه تتغير النظرة إليه وفقًا لأغراض وأهداف بعض الفئات إلا إنه لم يقدم شيئًا ملموسًا على مستوى التحديث من الخدمات المتاحة عليه. ما اعتقده إنه إذا وجد البعض تطبيقًا أكثر تسلية ومتعة مع

تقديم بعض الخدمات التى تبهر مستخدميه، سيتحول مستخدمي تويتر إليه بالأخص من هم داخل بلدان العالم الثالث. هذا الإعتقاد الشخصي لا يقلل من إمكانيات مستخدمي العالم الثالث بل لأن معدل الرفاهية داخل هذه المجتمعات قليل بالنسبة لباقي الشعوب، ومن ثم يبحث الفرد داخل العالم الثالث عن كل ما يجعله يبتسم ويقلل من ضغوط الحياة عليه.

لقد استطاع تطبيق الفيس بوك أن يخرج من دائرة الملل بالإعلان عن تقنية الميتافيرس، حتى يستطيع تقديم كل ما هو مثير وممتع ويتعدى خيال البشر بينما لم يقم تطبيق تويتر بأي مبادرة مثيرة مما يعنى إنه "ربما" سينطفئ في ظل هذا التنافس المستقبلي الشرس. وبالرغم من أن تطبيقات التواصل الإجتماعي تزيد من التباعد الإجتماعي الواقعي إلا إنها سوف تؤدي إلى المزيد من الإنعزال المستقبلي بينما يمكن للإنسان أو المجتمعات الذكية أن تتخطى

هذه السلبيات، وتطويع هذه التطبيقات والتقنيات الحديثة لصالح خدمتها، بغض النظر إذا كانت دول عالم أول أو ثاني أو ثالث.

إن الخطر الصحي المفاجئ الذي واجه العالم مع انتشار فيروس كورونا أدى إلى فتح منافذ جديدة على عالم الإنترنت. لم يتوقف الأمر عند الفيس بوك أو جوجل فحسب بل أيضًا استفاد تويتر ومستخدميه من تطويعه لخدمة أعمالهم ودراستهم ونشر ثقافة الوعي الصحي والإلتزام بإتباع اجراءات الوقاية من الفيروس. وكذلك نشر معلومات عن كيفية الوقاية، وتطورات المرض والإكتشافات العلمية بشكل متتابع. ويتضح من تجربة فيروس كورونا أن لكل شئ فى الحياة جانبين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي بينما يتوقف الأمر برمته على الفرد الذي يستخدمه.

يوتيوب

يتخطى اليوتيوب أهمية كل من الفيس بوك وتوتير حيث يعتبر المنصة الأكثر تفاعلية، ولم يتأثر مثلهما بالأحداث سواء على المستوى السياسي أو الصحي بل يستمد قوته من كثرة مستخدميه الذين يحثون عن كل ما هو مثير وجذاب وثقافي وتعليمي ومسلي. يختلف اليوتيوب عن باقى التطبيقات حيث إنه لا يعتبر ظاهريًا وسيلة من وسائل التواصل الإجتماعي، ولكنه يتمتع بمقومات تجعله أهم وسيلة بينهم.

تكمن أهمية اليوتيوب في كونه منصة مفتوحة أمام الجميع دون استثناءات بعينها، يمكن للفرد أن يشاهد ما يشاء تحت قوانين وضعها المسئولون المختصون بما يتناسب مع القواعد العامة. كما يمكن للفرد التعليق على الفيديو إذا كان صاحب القناة يسمح بذلك حيث يتمتع اليوتيوب بمرونة تجعله مصدر جذب للمستخدمين، فيتيح لصاحب القناة أن يسمح بنشر التعليقات أو منعها. علاوة على متابعة المحتوى المعروض حتى لا يخرج عن

الذوق العام بالإضافة إلى التنوع الذي يتيحه اليوتيوب، وأن الأمر لا يتوقف على أسلوب واحد بعينه بل ثقافة التعدد موجودة.

ومن الملاحظ إنه تم تطويع اليوتيوب في العديد من الإستخدامات، منها على سبيل المثال وليس الحصر:

أولاً تقديم محتوى غنائي:

لم يعد إصدار أغنية يمثل أي تحدي بالشكل الذي كان معروفًا في السابق بل أصبح الأمر سهل للغاية حيث يعتمد في الأساس على إنشاء قناة خاصة سواء باسم المطرب أو المؤدي أو الجهة الإنتاجية. ومن ثم يمكن لأي شخص على وجه البسيطة أن يقدم موهبته بكل يسر، الأمر الذي يتيح للفرد العادي أن يختار ما بين أن ينقر الفيديو للإستماع أو تجاهله. علاوة على اتجاه بعض الجهات الإنتاجية إلى إذاعة الأغاني عليه حيث لم يعد الإعتماد الكلى على القنوات التليفزيونية.

يرجع أهمية اليوتيوب في معرفة عدد المشاهدين الذين استمعوا إلى الأغنية بالإضافة إلى تحقيق الأرباح المضمونة. كما يضمن سرعة الإنتشار بين المستخدمين مع ضمان بقاء الأغنية على القناة لفترات طويلة. يقدم اليوتيوب خدمة رائعة تتمثل في أرشفة الأغاني التي تعرض عليه حيث لا يمحيها عامل الزمن بل تتضمن الأغنية بقاءها ووجودها على الرغم من مرور الزمن عليها كما يزداد عدد المشاهدين بمرور الوقت ولا ينقطع.

تستخدم بعض القنوات الخاصة التي تنتج بعض الأغانى منصة اليوتيوب لعرض أغانيها بالإضافة إلى تحقيق الربح المادى بالإضافة إلى ضمان استمرارية ما يُعرض. لقد فتح اليوتيوب فرصة ذهبية أمام صناعة الأغاني- هذا المجال الذي يقع تحت رحمة أذواق المستمعين، ورغبتهم في سماع كل ما هو جديد بالإضافة إلى اختلاف الأذواق حسب أعمار المستخدمين. ولكن هذا لم يمنع من ظهور تيار غريب على المجتمعات العربية حيث بدا الأمر كنوع من العبث،

وكل من رأى في نفسه موهبة الغناء أصبح يغني، ويقوم بنشر أغنيته على قناته الخاصة.

لقد ظهر اتجاهان في عالم الغناء الإفتراضى:

الأول: يتضمن المطربين والمغنين المعروفين قبل غزو العالم الإفتراضى حيث من المعروف نوعية الغناء الذي يقدمونه. علاوة على الجماهيرية التي يتمتعون بها، ومن ثم لا يجدوا أي عقبات في زيادة نسبة المشاهدين يومًا بعد يوم.

ثانياً: يتضمن فئة المؤديين والمغنين بعد غزو العالم الإفتراضى حيث بات من المتفق عليه أن كل ما يُعرض من قبل البعض غير مرغوب فيه. كما اتجه "بعض" الأشخاص لما يسمى بالمهرجانات، والتى انتشرت بسرعة البرق بين الشباب والمناطق الشعبية، وأصبحت مألوفة مع مرور الوقت علاوة على اتجاه "فئة" لإستخدام كلمات أغاني تخدش الحياء العام وغير مرغوب فيها لمجرد إحداث ضجة داخل أجواء المجتمع، ومن ثم زيادة عدد المشاهدين.

لم يقتصر الأمر عند ذلك فحسب، بل ما زاد الأمور تعقيدًا أن هناك بعض المؤديين الذين يقومون بأفعال غريبة على المسرح أثناء تقديم فنهم أو داخل الفيديو كليبات التى يتم عرضها على اليوتيوب مما يثير الريبة وتحفظ الأسر خوفًا على تأثر الأبناء بهم. ومع التنوع وثقافة العرض والطلب بات الأمر غير محكوم بالرغم من أن الأداة – ألا وهى اليوتيوب- من الممكن أن يتحكم الآباء فيها لعرض ما يتناسب معهم وحذف ما يتنافى معهم.

لقد خرج على المجتمع أسماء لبعض المغنيين التى تتسم بالغرابة والسخرية بالإضافة إلى الصراخ والضجيج الذي يثير مشاعر الغضب، وكأن نهاية العالم قادمة لا محالة. علاوة على الكلمات الغير مفهومة والجمل الغير مترابطة. وقد تطور الأمر نحو الهاوية حيث اتجه البعض إلى التعدي على الأديان، كل هذا يتم دون رقابة في هذا العالم الإفتراضى الذي صار بدون قيود ورقابة فعالة كما أن كل فعل غريب مباح في سبيل الحصول على المال.

ثانياً تقديم محتوى تعليمي وتثقيفي:

اتجه البعض- وبالأخص بعد جائحة فيروس كورونا- إلى إنشاء قنوات تعليمية وتقديم محتوى تثقيفي بشكل سريع ومختصر. يعتمد البعض على الظهور أمام الكاميرا بينما يعتمد البعض الآخر على الصوت والمؤثرات الصوتية، وفى كلتا الحالتين يسود حالة من الترقب حول ما إذا كان هذا المحتوى سيُدر ربحًا أم لا.

من المتعارف عليه أن التنافس بين هذه القنوات يعتمد فى المقام الأول على المحتوى، ما إذا كان مطلوبًا وجذابًا أم لا، بالإضافة إلى طريقة وأسلوب العرض. من ناحية أخرى، يعرف أصحاب هذا الطريق أن عليهم الجهد والمثابرة من أجل البحث عن كل ما هو جديد ومفيد بالإضافة إلى التنوع في طرق عرضه. لذا، فليس من السهل الحصول على الربح السريع بالإضافة إلى عامل الصبر لسنوات حتى يتمكن صاحب المحتوى من الإنتشار.

ثالثاً تقديم محتوى العائلات:

انتشر مؤخراً ما يسمى بقنوات العائلات، وهي عبارة عن كل عائلة تعرض ما تقوم به خلالها يومها من أحداث- بشكل مفتعل- وعرضه على القناة الخاصة بهم. من وجهة نظري الشخصية لا أجد المتعة أو حتى التسلية في مشاهدة يوميات العائلة، وأفكر في وجه الإستفادة من هذا المحتوى. كما ظهرت قنوات موجهة للأطفال، يتم من خلالها بث يوميات عائلة، ولكن من خلال الرسوم المتحركة. غالبًا ما تترك الأسر الحرية لأبنائها مشاهدة مثل هذا المحتوى دون أن تتساءل عن الإستفادة التي من الممكن أن تعود عليهم. علاوة على المشاهد المفتعلة والتي تتسم بالإستفزاز والتباهي بما يملكونه داخل البيت.

لقد قام البعض بإختلاق الأحداث من أجل الحفاظ على نسبة المشاهدة بالإضافة إلى إثارة الرأى العام لضمان ارتفاع عدد المترددين على القناة. كما لم يجد البعض حرجًا فى تصوير أهل البيت فى مواضع حرجة بحجة توثيق هذه

اللحظات للمشاهدين، ولكن ما النفع العائد على السادة المشاهدين؟ من العجيب الزيادة المرتفعة فى عدد القنوات التى تسير على نفس المنهج. يضمن هؤلاء المنتفعين من هذا المحتوى الربح السريع بالإضافة إلى الشهرة، ولكن فى نطاق محدود متمثل في فئة عمرية تنبهر بكل ما هو يفوق قدرة أهلها على توفيره، وتجد أحلامها متجسدة في المنزل الفخم والأثاث الغالي وحمام السباحة.

رابعاً قنوات الطبخ:

هل تعلم أن قنوات الطبخ الفائز المضمون في سباق المشاهدات؟!

تعد قنوات الطبخ هى الحصان الأسود في هذا السباق العبثي، فأغلب الناس تحب أن تجرب أنواع الطعام المختلفة واللذيذة بالإضافة إلى أن التجربة لا تخسرهم شيئًا. المكونات التى يستخدمها أغلبية معدي قنوات الطبخ متاحة ومعروفة داخل جميع البيوت، لذا فليس هناك حاجة إلى المعجزات من أجل

الحصول على وصفات تجذب المشاهدين بل يمكنهم أن يتناقلوها فيما بينهم مع إضافة بعض اللمسات حتى لا يشعر المشاهد بتقليد المحتوى.

تنجذب جميع الفئات العمرية إلى وصفات الطبخ المختلفة والغريبة، وبالأخص فى فترة الليل حيث يجتمع أفراد العائلة بعد يوم طويل وشاق، ومن ثم يكون هناك دافع قوى لخوض التجربة. ومن الجدير بالذكر أنه فى فترة جائحة كورونا انتشرت قنوات الطبخ على اليوتيوب بشكل سريع، وانتشر معها بعض الوصفات الجديرة بالتجربة بالإضافة إلى اكتشاف البعض مواهبه فى الطبخ. لم يعد الأمر مقتصرًا على قنوات أو برامج التليفزيون المتخصصة بل أصبح الطبخ للجميع.

خامساً تقديم أغاني كرتون للأطفال:

تحتل قنوات أغاني الكرتون المرتبة الثانية بعد قنوات الطبخ فى نسبة المشاهدات حيث يشاهدها جميع الأطفال فى جميع الأوقات. لقد أصبح من

المألوف أن تجد أسرة تسمح بمثل هذه القنوات لأطفالها حتى يتمكن الأب من الحصول على وقت راحة أو الأم التى تحتاج بعض الوقت لإنجاز ما وراءها من أعمال منزلية. علاوة على أن هناك بعض القنوات تعرض أغاني تحتوي في مضمونها على إرشاد وتوجيه الأطفال نحو الصواب، وتعليمهم العادات السليمة.

تعتمد هذه القنوات على عاملين هامين: أولهما الرسوم المتحركة بألوانها الزاهية التي تجذب الرضع وصغار السن إليها، وثانيهما الموسيقى وتوزيعها اللذان يمثلان العامل الأساسي في شد انتباه الطفل إليها. كما أن هذه القنوات لا تقدم شيئًا مبتذلاً أو سيئًا بل على العكس من ذلك فهي تصب في صالح الأسرة التي تنبه أطفالها أن يفعلوا مثل الشخصية الكرتونية أو يتجنبوا أفعالها الطائشة حتى لا يقعوا فى نفس المصير.

تتميز هذه القنوات بالتنافسية الشديدة من أجل عرض كل ما يجذب الأسرة نحوها، وبالأخص الآباء الذين يراقبون ما يُعرض لأطفالهم. كما تتمتع بالإستمرارية وزيادة نسبة المشاهدة مع مرور الوقت حيث لم تتعرض لأى شكاوى من المستخدمين. وأهم ما يميزها هو إعادة إحياء بعض أغاني التراث بالصورة المعاصرة التي تناسب أبناء هذا الجيل.

سادساً عرض البرامج التليفزيونية :

لقد لجأت القنوات التليفزيونية المختلفة إلى سباق عرض البرامج على اليوتيوب لضمان الحصول على الأرباح المالية دون الإعتماد الكلى على التمويل من الإعلانات التي تعرض عليها. لقد فتح اليوتيوب مجالًا جديدًا أمام أصحاب الإنتاج الخاص الذين ربما يواجهون بعض التعثرات المادية أثناء الأزمات الإقتصادية. هذا العائد يرجع إلى البرامج التي تشد المشاهد مثل نشوب خناقة بين الضيوف على الهواء فى برامج التوك شو، أو انتقاد ممثل

لآخر وكلامه عنه أو انتقادات فساتين الفنانات في أحد المهرجانات السينمائية، وغيرها.

كما تعد القنوات الموجودة على اليوتيوب بمثابة أرشفة مجانية تعرض لمن يرغب فى الإضطلاع على مجريات الأمور فى حقبة ما من الزمن المعاصر دون الدخول في دهاليز الأرشفة التقليدية، وإذا كانت المادة المحفوظة قديمة أم جيدة للمشاهدة. علاوة على أنها تعكس الحالة السائدة الموجودة داخل المجتمع خلال هذه الفترة، ومن ثم تعتبر مادة جيدة للدراسة أو للتأريخ المصور دون تزيف أو تهويل.

وقد اتجهت بعض القنوات إلى تقطيع الحلقة في أى برنامج إلى مجموعة من الفيديوهات القصيرة من أجل عدم الإطالة ونشر الجزء الذى يضمن فقط زيادة المشاهدة، وبالتالي تغيرت استراتيجية العرض من أجل زيادة المشاهدة. فبدلاً من أن يتم مشاهدة الحلقة فقط، يتم مشاهدة كل جزء على حدة،

وبالتالى زيادة نسبة المشاهدة وتردد المستخدمين على القناة. إن ما يميز برنامج عن آخر هو المحتوى الذي يتم عرضه، فمثلاً في دول ثورات الربيع العربى، انشغل الشارع العربي بالأحداث السياسية، وقد لعب الإعلام حينها دورًا فى عرض الآراء المختلفة بين الضيوف بطريقة تزيد من اشتعال الموقف، وإثارة الرأى العام طمعًا فى الشهرة. ومن الملاحظ بعد أن هدأت الأمور السياسية، تحولت البرامج إلى انتقادات اجتماعية وفنية، وبالتدريج غيرت مسارها نحو اتجاه آخر.

سابعاً الإستخدام السئ للتطبيق، وطرق سريعة للربح:

أ- الروتين اليومي:

تعتبر القنوات ذات محتوى الروتين اليومى دخيلة على المجتمعات، على الرغم من أن البعض يشبهها بأفلام المقاولات فى حقبة معينة، وبالتحديد داخل المجتمع المصرى. من المفترض أن هذه القنوات تعرض كل ما يهم "ست

البيت" عن كل ما يتعلق بداخل البيت من تنظيف وتنظيم للأشياء والأثاث وغيرها، ولكن ما يتم عرضه يتنافى مع "السلوكيات" العامة المتعارف عليها بين الناس.

تتميز بعض مقدمات هذه القنوات بإرتداء النقاب أو ما يخفى الوجه مع ظهور مستفز للجسد ، والرأس مع غلق التعليقات أمام المشاهدين ثم تقف بتعمد فى بعض الزوايا كى تلتقط الكاميرا- سواء كانت كاميرا هاتف محمول أو تصوير- لقطات هدفها إظهار المقدمة بشكل ما مخالف للذوق العام مع التحدث عن كيفية التنظيف أو الغسيل أو المسح. كما أن تقوم بعضهن بالظهور من الخلف بحجة القيام بالأعمال المنزلية، ويصاحبها تعليقها الصوتى كما ترد على الإنتقادات الموجهة إليها.

لقد أصبح البحث عن الطرق السريعة للربح آفة الزمن الحالى حيث يتم استخدام التكنولوجيا فى مسارات بعيدة عن المسارات التى من المفترض أن

تسلكها. وتعكس هذه القنوات- التى ترتقع أعداد المشاهدات فيها بشكل ملحوظ يتخطى فى الغالب حاجز المليون - المرض الذى تعانى منه المجتمعات التى يتردد أفرادها على مثل هذه القنوات. والسؤال الذى يطرح نفسه ما هو وجه الإستفادة من مشاهدة سيدة تغطى وجهها وترتدى ملابس تكشف جسدها وهى تغسل أو تطبخ أو تفعل شيئًا ليس بجديد داخل منازلنا؟!

ب-قنوات بغرض الربح السريع

هناك نوعان من هذه القنوات:

أولاً القنوات التى توجه المستخدمين إلى كيفية الحصول على المال السريع دون عمل أو جهد، ويتم ذلك باستراتيجية معينة. يظهر أولاً فى عنوان الفيديو كيف تحصل على مبلغ معين من المال خلال ساعتين أو كل ساعة ثم عندما يدخل المستخدم ليتعرف على هذه الطريقة الجهنمية يكتشف أن عليه أن يدخل إلى أحد المواقع ثم ينقر سواء على الإعلانات أو الفيديوهات أو

الألعاب، مع العلم أنه لن يسحب المال إلا إذا حقق عائد معين يحدده له هذا الموقع. ثانياً، يجرب المستخدم الخطوات طمعاً فى الربح السريع، ولكنه يتفاجئ – مع مرور الوقت- أن الأمر ليس بالسهولة التى يتحدث عنها صاحب القناة، ومن ثم يشعر بأنه قد تعرض للنصب وضياع الوقت وأن صاحب القناة هو المستفيد الوحيد بزيادة عدد المشاهدين.

ثانياً القنوات المتخصصة فى عرض فضائح الآخرين سواء المشاهير أو غيرهم حيث تعتمد هذه القنوات على الإثارة والفضول تحت عناوين تجذب محبي الفضائح. وتعبر هذه القنوات عن سلوكيات وأخلاقيات مرفوضة دينيًا ومجتمعيًا حيث دعى الدين لعدم الخوض فى أعراض الآخرين وعدم بث الفتنة فى نفوس الناس. البعض يرى أنه شيئاً عادياً أن تتعرض لحياة المشاهير بحجة أنها ليست ملكاً لهم بل لمعجيبهم أيضاً، والبعض الآخر لا يجد متعته إلا فى مشاهدة فضائح الغير. هذه أمراض منتشرة داخل المجتمعات، وليس

لها أى تبريرات منطقية سوى أن الدافع وراء مثل هذه الأفعال الغريبة هو الربح السريع بأى شكل وبأى ثمن.

إنستجرام

عندما تعرض حياتك مسجلة بالصورة أمام الجميع، فماذا تستفيد؟!

هذا بإختصار ملخص الإنستجرام، التباهي بما تملك حتى تشعر بالكمال بينما يشعر غيرك بالغيرة والحقد. لقد انتقلت عدوى التباهي إلى الإنستجرام، التطبيق الذي يدور في فلك الصورة والفيديوهات القصيرة المصورة، بين جميع الفئات العمرية. وقد اتضح فيما بعد أن الأشخاص الذين يعتمدون على هذا التطبيق اعتمادًا كاملاً يعانون من أزمات نفسية، فهم يتطلعون إلى فكرة الكمال، وأن يصبحوا الأفضل بإستمرار.

لا أحد يستطيع أن يدخل فى عقول البشر، والبحث عن السبب الرئيسي وراء اتجاه الناس إلى نشر كل تفاصيل حياتهم اليومية أمام الآخرين سوى أنه ربما قد تكون الإجابة في عنصر التنافسية التى زرعته تطبيقات التواصل الإجتماعي بداخلنا بغرض الإستهلاك. إذا قارنا حياة الناس على الكوكب الأرض خلال العقد الماضى والآن سنجد أن الإختلاف كبيراً حيث سعى الناس فى التواصل وجهًا لوجه من خلال حضور المناسبات المختلفة بينما أصبح العالم مختلفًا الآن حيث يكتفى البعض بالعالم الإفتراضي، سواء فى الفرح أو الكرب.

لقد أصبح تتبع مسار الشخصيات المشهورة – والمقصود هنا هى الشخصيات المعروفة لدى قطاع عريض من الناس قبل الغزو الإلكتروني- شيئًا سهلاً لا يحتاج مشاهدة لقاء تليفزيونى أو شراء مجلة باهظة الثمن. كل ما عليك فعله هو أن تنقر على زر المتابعة ليفتح أمامك عالم هذه الشخصية، وبدون أي جهد أو تعب أو حتى أمنية أن تقابلها. من الملاحظ أن شغف متابعي نجوم

السينما والتليفزيون ضاع بين سهولة الوصول إلى النجم الذي يعجب بفنه وبين انكشاف حقيقته على العلن.

لم يكن في استطاعة متابعي النجوم قبل الغزو الإلكتروني أن يتحدثوا معهم أو حتى أن يجادلوهم بالشكل المتعارف عليه الآن بل كان الشغف مسيطر عليهم بسبب صعوبة الوصول إلى نجمهم المفضل علاوة على تكوين صورة مثالية في مخيلتهم ممزوجة بروح رومانسية. ولكن الآن اختلف الأمر بشكل كلي حيث أصبح بعض النجوم يتراشقون بالألفاظ والإتهامات على تعليقات المتابعين بالإضافة إلى سرعة نشر كل ما هو مسيء في حقهم.

لقد شهدت السنوات الأخيرة ظاهرة ما يسمى نجوم الإنستجرام، والمقصود بها مجموعة من الأشخاص يتابعهم الكثير من مستخدمي التطبيق. يعتبر هذا الإتجاه جديدًا، فما هو الغرض في أن تصبح ذات صيت افتراضي بينما على

أرض الواقع لا أحد يعرفك؟ وما فائدة أن يحصد الشخص على العديد من التفاعل على صورة يعرضها أمام المتابعين؟

هناك استفادة على المستوى المعنوي ألا وهو حب الشهرة والسعي نحو الكمال، ومؤخراً أصبحت على المستوى المادي حيث توجهت بعض الماركات التجارية إلى عرض منتجاتها من خلالهم دون الحاجة إلى إعلانات أو تكاليف باهظة. لقد تحول هؤلاء النجوم من مجرد أشخاص تنشر صورهم على التطبيق إلى مروجي منتجات، ولكن ماذا بعد أن يتغير مسار الإنستغرام إذا ظهر تطبيق أكثر جاذبية وإثارة؟!

لقد أثر الإنستجرام بالسلب على قطاع عريض من الشباب الذين يتطلعون إلى حياة أفضل، فمع الاعتياد على مقارنة الشخص مع غيره تسبب ذلك في أن يغوص الشخص داخل دائرة عدم الرضا ثم يغرق في بحر المقارنة. لا أحد يعرف حقيقة الأشياء إلا أصحابها حيث ليس من المنطقي أن كل ما يعرض

يتم تصديقه دون تحري أو حتى شك. علاوة على أن ثقافة التقليد التي باتت شائعة بين المراهقين وهوس التشبه بالمشاهير، يوجه البعض إلى الهاوية كما أن جنون الشهرة يدفع البعض لإرتكاب الحماقات لمجرد أن يحظى بشهرة لبعض الوقت. لا يمكن إنكار أن المجتمعات تواجه في الوقت الراهن أزمة حقيقية ألا وهى ابتعاد الشباب عن الواقع، والتوغل في العالم الإفتراضي الذي يؤثر بالسلب على النهوض بالمجتمعات علاوة على الآثار السلبية التي تدمر الشباب وأحلامهم.

التيك توك

يمكنك أن تحمل هاتفك المحمول بين يديك في أي وقت وأي مكان ثم تقوم بتشغيل مقطع غنائي وتحرك شفتيك ثم تتراقص أو تضحك ضحكة سمجة لمدة بضعة ثوانى ثم تنشره على منصة التيك توك. هناك خيار آخر ألا وهو أن تقوم بتمثيل مقطع غير مفهموم مع أصدقائك ثم تقوم بنشره. والسؤال الذى

يطرح نفسه ماذا يستفيد الشاب أو الفتاة من تلك المقاطع التى حتمًا سيأتي اليوم الذي يندمون فيه عليها؟!

مع سهولة الحصول على هاتف ذكي بالإضافة إلى غياب الرقابة من الأسرة باتت هناك أفعال مشينة مباحة أمام قطاع عريض من فئات المجتمع المختلفة من مراهقين وشباب وحتى كبار السن. لقد أصبح من المقبول أن تشاهد في أحد الفيديوهات فتاة تقوم بالرقص بشكل مستفز ومنفر على مقطع من أغنية، وأخري تعرض نفسها بشكل مغري. كما هناك المراهق الذي يتباهي بشعره الطويل، والآخر الذي يقوم بحركات بهلونية مستفزة. لم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب بل هناك فئة كبار السن الذين يقومون بتمثيل مقاطع فيديو ليس لها تفسير سوى إثارة السخرية دون التفكير إلى نظرة الأحفاد إليهم يومًا ما.

لقد سقطت قيم وأخلاقيات المجتمعات أمام زيادة عدد نسبة المشاهدة التي أصبحت طاعون العصر الحالي، والذي يفتك بالصغير والكبير على حد سواء. لقد لغي بعض الأفراد عقولهم، وانساقوا وراء شهوة الشهرة وجنون العظمة، دون التفكير في المستقبل وكيف يمكن أن تُستغل هذه المقاطع المصورة ضدهم؟! كما أن الحياة في العصر التكنولوجي تتغير بسرعة غير مسبوقة، وعلي الجميع أن يفيقوا من غفلتهم قبل أن يستيقظوا على كابوس التخلف وعدم الإلتحاق بقطار التقدم السريع.

الفهرس

مقدمة ٥

السينما ٩

التليفزيون ٦١

وسائل التواصل الإجتماعي ٧٨

تستغل السينما العامل البشرى الموجود بها- والمقصود هنا النجوم والنجمات- وتحولهم كسلع هامة لترويج الأفلام، وذلك من خلال مشاهدتهم على الشاشة بصورة مثالية تجعل المتلقي يتمنى أن يحيا حياتهم، والتي تبدو على السطح بأنها حياة مليئة بالرفاهية والسعادة، ولكن في حقيقة الأمر لا أحد يعرف الجانب الخفي في حياة النجوم من وجع وألم وتضحيات والخوف من تجاعيد الزمن الذي يطاردهم طوال الوقت. ومن المفارقات العجيبة أن نجد منهم من يتمنى لو يصبح إنسانًا عاديًا، ويصرح برغبته في أن يعيش بعيدًا عن مطاردة الأضواء.